دَوْرُ الدُّول الأوربيّة في الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين وموقف الدّولة العثمانيّة منها ١٨٤١- ١٩١٤

أ.م. د. أحمد حسين عبد - أ.م. د. فراس صالح خضر - م. م. نعمة عبد الخالق جاسم

جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية /قسم التاريخ

الكلمات المفتاحية: الهجرة اليهوديّة، فِلَسْطين، السّلطات العثمانيّة، الدُّول الأوروبيّة، القدس، القناصل.

الملخَّص:

اتَّجهت الدّراسات الأكّاديميّة، في العراق والوطن العربيّ، إلى دراسة عديدٍ من الجوانب المُهمَّة من تاريخ فِلَسْطينَ، لاسيَّما في ما يخصُّ اليهود ووجودَهم فيها، ودَوْرَهم في تغيير الطّابَعِ الدُّيمغرافيّ فيها، وخاصَّة في القدس، وتُعَدُّ الهجرة اليهوديّة من الموضوعات المُهمّة في تاريخ بلاد الشّام؛ كونَها أسهمَتْ في تردِّي الأوضاع السّياسيّة في المِنْطقة، إذ أدَّت إلى ظهور كِيان غير مرغوب فيه، جعل من المِنْطقة العربيّة ساحةً للصّراعات الدّوليّة التي تعمل جميعها، من أجل خِدمة هذا الكيان، وتحقيق أهدافه التَّوسُّعيّة. كانت هذه الهجرةُ أحدَ أهداف الاستعمار الأوروبيّ، لاسيَّما البرِيطانيّ، الذي بتعاونه معَ اليهود، منذ منتصف القرن التّاسع، بدأ بتنفيذ هذا المُخطَّط ثمَّ أيَّدت معظم الدُّول الأوروبيّة المشروع؛ من أجل أهداف سياسيَّةٍ، تمَنْع في المستقبل، من ظهور دولة عربيّةً كبيرة موَحَّدة تُهدِّد المصالح الأوربيّة.

واستغلَّ اليهود الأطماع الأوروبيّة، ومُخطّطاتها لصالحهم؛ لتنفيذ هدَفِ القوميّة اليهوديّة في إنشاء الدّولة اليهوديّة، بالقدس الشَّريف، وأنَّ المهاجرين اليهود سوف يكونونَ النَّواة الأولى للمجتمع اليهوديِّ في فِلَسْطينَ.

قسِّمَ الموضوع إلى ثلاثةِ مباحثَ وخاتمة، تضمَّنَ المبحث الأوّل بدايات الهجرة اليهودية إلى فِلَسْطين (1841-1876)، بينما تناول المبحث الثّاني الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ (1876-1914م)، وبيَّنَ المبحث الثّالث موقِفَ الدَّولة العثمانيّة من الهجرة اليهوديّة، وأثرَها في العُلاقات العثمانيّة – الأوروبيّة 1841-1914. توصَّلتِ الدِّراسة إلى نتائجَ مهمَّة منها: لم تكُنِ الهجرة اليهوديّة إلى القدس الشَّريف، في بدايات القرن التّاسع عَشْرَ، غير مخطَّط لها؛ رَغْمَ أنَّها كانت هجراتٍ فرديّةً وعَشوائيّةً، لكنها كانت مدفوعةً من قِبَلِ الصَّهيونيّة، وبدعم من الدُّول الأوروبيّة. اعتمدتِ الدِّراسة على مجموعة متنوِّعة من المصادر، يُمكن الاطِّلاع عليها في ثنايا الدِّراسة.

The role of European countries in the Jewish immigration to Palestine and the position of the Ottoman Empire on it

1841-1914

Assistant pro. PhD | Assistant pro. PhD | PhD. Studient

Ahmed Hussein Abed | Firas Saleh Khudher | Neama Abdul KhaliqJassim

University of Tikrit / Faculty of Education for Humanities / History Department

drahmed41@tu.edu.iq / drfirasdrfiras@gmail.com

Keywords: Jewish immigration, Palestine, Ottoman authorities, European countries, Al Quds, consuls.

Abstract:

The academic studies, in Iraq and the Arab world, have a tendency to study many important aspects of the history of Palestine regarding the Jewish, their presence and their role in changing the demographic character in Palestine, especially in Al Quds. The Jewish immigration is considered one of the most important issues in the history of the Bilad Al Sham (Levant), as it is contributed to the worsening of the political situation in the region. It led to the emergence of an unwanted entity, it makes the Arab region to be an area for international conflicts, all of which are working to serve this entity and achieve its expansion goals. This migration was one of the aims of European colonialism, especially the British, which began implementing this scheme in cooperation with the Jewish since the mid-ninth century. Then most European countries supported the project for political goals that prevent in the future from the emergence of a large unified Arab state that threatens

European interests. The Jewish took advantage of European ambitions and plans in their favor to implement the goal of Jewish nationalism in establishing the Jewish state in Al-Quds Al-Sharif, and that the Jewish immigrants would be the nucleus of the Jewish community in Palestine.

The research was divided into three sections and a conclusion. The first section deals with the early period of Jewish immigration to Palestine (1841-1876), while the second section deals with Jewish immigration to Palestine (1876-1914 AD), and the third section presents the Ottoman state's position on Jewish immigration and its impact on Ottoman-European relations 1841-1914.

The study reached significant conclusions including the Jewish immigration to Al-Quds Al-Sharif in the early nineteenth century was unplanned, although it was a random and individual immigration, but it was driven by Zionism and the support of the European countries. The study consulted a variety of sources.

المبحث الأول: بدايات الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين 1841 - 1876

عـاش اليهـود في البـلاد الإسـلاميّة والعثمانيّـة؛ وَفْـقَ نظـام أهـل الذِّمَّـة، وعندمـا سـيطرتِ الدَّولـة العثمانيّـة عـلى بـلاد الشّـام، عـام 1516، عـدَّتِ اليهـودَ ثـانيَ مِلَّـةٍ في الأقلّيّـات الدّينيـة، وجـاءت بعـد النَّصـارى، وجعَلَـتْ لهـم مـن يُمثِّلهـم في إسـتانبول وهـو (الحاخـام الأكـبر)، واسـتمرُّوا عـلى هـذا النِّظـام حتَّـى عهـد التَّنظيـمات الـذي سـاوَى بـين أبنـاء الدَّولـة العثمانيّـة، بجميـع طوائفهـا، وقوميّاتهـا، وأديانهـا، تحـت النِّظـام الإصلاحـيِّ، والـذي عَدَّهُـم مواطنـينَ عثمانيِّـين لهـم حقـوقٌ، وعليهـم واجبـات[1].

شـكَّل القـرن التّاسـع عَـشْرَ نقطـةَ تحـوُّل في تاريـخ الدّولـة العثمانيّـة؛ إذ عـمَّ الضَّعـف والوَهَـن في أركانهـا، وانعكـس هـذا التَّحـوّل عـلى بـلاد الشّـام، ولـواء القـدس الشَّريـف، واسـتغَلَّتِ القُـوى الاسـتعماريّة الأوروبيّـة هـذه الأوضـاع؛ لتتصـارَعَ فيـما بينهـا؛ لفـرضِ حمايتهـا عـلى يهـود بـلاد الشّـام، واسـتغلالهم تحـت ذريعـة حمايـة الأقلّيّـات الدِّينيّـة، مـن أجـل خدمـة مصالحهـم الاسـتعماريّة، في داخـل الدَّولـة العثمانيّـة[2].

اسـتغلَّ اليهـود الأطـماع الأوروبيّـة لصالحهـم، ولتنفيـذ هـدفِ القوميّـة اليهوديّـة، مـن أجـل إنشـاء الدَّولـة اليهوديّـة في فِلَسْـطينَ، وكانـت تطلُّعـات اليهـود الاسـتعماريِّين بأنَّهـم يسـتطيعون جمـعَ اليهـود في جـزء مـن الدَّولـة العثمانيّـة، وتحديـدًا القـدسَ الشَّريـف، وإنَّ هـؤلاء المهاجريـن سـوف يكونـون النُّـواةَ الأولى للمجتمـع اليهـوديّ، وعندمـا يحـين الوقـت المناسـب يُعلنـون دولتهـم الخاصَّـة بهـم[3].

تطلَّـع اليهـود عـلى مـرِّ العصـور التّاريخيّـة إلى القـدس، كأرض تجمـع شَـتاتَهم، متذرِّعـين بادِّعـاءاتٍ دينيّـة وتاريخيّـة، ونشـطوا، وتنـادوا إلى تهجـير اليهـود الموزَّعـين، في أنحـاء العالَـم إليهـا؛ مـن أجـل إقامـة الكِيـان اليّهـوديّ المزعـوم[4]، وبذلـك اجتمعـتِ الأهـداف والمصالـح المشـترَكَة لـكلٍّ مـن الـدُّول الاسـتعماريّة الأوروبيّـة، والأطـماع اليهوديّـة في فِلَسْـطينَ للأهـداف نفسِـها، وهـو أضعـاف الدَّولـة العثمانيّـة، ثـمَّ اقتسـامها حسَـبَ مصالـح كلِّ طـرف.

أوّلًا: بدايات الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ، ودَوْرُ بِريطانيا فيها 1841 – 1876

ترجع البدايات الأولى حول دَوْرِ بِريطانيا في إعادة اليهود إلى القدس الشَّريف، إلى القرن السّابع عَشْرَ، وذلك عندما نجحت ثورةُ (البيورتان) [5] بالسَّيطرة على الحكم في إنكلترا، حيث حاول هؤلاء إعادةَ اليهود إلى القدس، وتقديم التَّسهيلات لهم للهجرة[6]، وقد استمرَّتِ المؤشِّرات بشأن تعاطف الرّأي العامِّ البِريطانيّ اتِّجاه اليهود، والذي تَعَزَّزَ في أثناء القرن التّاسعَ عَشْرَ، وخاصّةً بعد أنْ أصبحت مِنْطقة الشَّرق الأوسط، ومن بينها بلادُ الشّام تحت دائرة اهتمامِ بِريطانيا، من أجل تأمين طُرُقِ مواصلاتها معَ مستعمراتها في الهند[7].

برزتِ الخطوة الأولى للتَّطبيق الفعليِّ لهذه الأهداف، في عام 1838، إذ افتتحت بريطانيا قنصليَّة لها في القدس الشَّريف، وكان الهدفُ المعْلَنُ من إنشاء هذِه القنصليّة، مساندةَ الدَّولة العثمانيّة ضدَّ أطماع محمد عليّ باشا، ولكنْ بريطانيا كانت تسعى لتحقيقِ بعض الأهداف، منها مقاومةُ النُّفوذ الفرنسيّ في بلاد الشام، الذي اعتمد على مساندة محمد عليّ باشا؛ من أجل إضعاف الدَّولة العثمانيّة، وبما أنَّ فرصة بريطانيا كانت أضعْفَ من فرنسا التي ادَّعت حماية الكاثوليك، ومن روسيا التي بدأت تهتمُّ بالأرثوذكس في المِنْطقة، لذلك سعَتْ بريطانيا، من خلال فرضِ حمايتها على اليهود في أنحاء الدّولة العثمانيّة كافَّةً، خاصّة في بلاد الشّام، ومن أجل تحقيق أهدافِها في ضمان طُرُقِ المواصلات للإمبراطوريّة البِريطانيّة إلى الهند[8].
ومن جهةٍ أخرى فقد كتبَ وزير الخارجيّة البِريطانيّ بالمرستون إلى القناصل البِريطانيّين كافّةً في غرب آسيا، طالبًا منهم تأكيدَ حمايتهم لليهود، والتي زَعَمَتْ بريطانيا أنَّها سوف تَسْعى لتحقيق وعودِها لهم بالعودة، إلى فِلَسْطينَ؛ ليكونوا عَوْنًا لها وللدَّولة العثمانيّة ضدَّ أطماع محمد عليّ باشا[9]، وفي شهر كانون الثاني 1838م، أصدَرَتْ بريطانيا تعليماتٍ جديدةً إلى قُنْصليَّتها في القدس الشَّريف، بوجوب فرضِ حمايتها، وبشكل عامٍّ على جميع اليهود في المِنْطقة، وأكَّدت كذلك في تعليماتها على وجوب تقديمِ القُنْصل تقريرًا

مُفصِّلًا أوضاعَ اليهود المُقيمين في القدس، ورفعَه إلى الحكومة البرِيطانيّة وبأقربِ فُرصة، كما وقد كتبَ بالمرستون للسَّفير البرِيطانيّ في إستانبولَ عام 1840م قائلًا: ((إنَّ هناك في الوقت الحاضر، فكرةً قويّةً لدى اليهود المنتشرين في أوروبا مَفادها أنَّ الوقت يقترب لأمَّتِهم للعودة إلى فِلَسْطين، وأنَّ الشَّعب اليهوديّ إذا ما عاد بموافقة السُّلطان، وحمايتِه، وبدعوتِه، فإنّه سيكون كابحًا لأيّة مخطّطات شرِّيرة مُقبلة لمحمَّد عليّ، أو خَلَفِه ... ويجب عليّ أنْ أُوعِزَ لسعادتِكم بقوَّةٍ أنْ تُوصُوا الحكومةَ التّركيّة بأنْ تُقدِّمَ كلَّ تشجيع عادل ليهود أوروبا للعودة إلى فِلَسْطين))[10].

كتبَ بالمرستون في رسالة أخرى إلى السَّفير البرِيطاني في إستانبولَ في شباط 1841م، أكَّدَ فيها أنَّ بريطانيا أصبحت مسؤولةً عن تحقيق حُلم اليهود في الاستيطان في فِلَسْطين، لكنْ رغمَ كلِّ ذلك، فإنَّ إقناع السُّلطات العثمانيّة بأهداف هذا المشروع لم تجد آذانًا صاغية[11].

ذهبتِ السّياسة البرِيطانيّة في تأييدها لليهود إلى أبعد الحدود، إذ طلبت من الدَّولة العثمانيّة في عام 1845م، بإعطاء أرضٍ معيَّنة من لِواء القدس الشّريف، بعد إفراغها من سكّانها العرب المسلمين، وإعطائها اليهود لِيَستقرُّوا بها، لأنّه إذا بقي الطّرفان في مِنْطقة معيّنة قد تَحْدث بينهم مشكلاتٌ، ويكون لهؤلاء اليهود منافِعُ سياسيةٌ واقتصاديّة، في الدّولة العثمانيّة، كذلك قَدَّمَ اللورد جورج جوالد الحاكم البريطانيُّ، في أستراليا عام 1845م، مُقترحًا للحكومة العثمانيّة، تحت اسمِ (إحلال الاستقرار في سوريا والشرق)، ويتمُّ بموجب هذا الاقتراح إنشاءُ مستوطنات زراعيّة لليهود في القدس، ذاتِ حُكْمٍ ذاتيٍّ مستقلٍّ، على أنْ تكون هذه المستوطنات تحت حماية القنصل البريطاني ورعايتِه، في القدس، وبتمويل من قبل اليهود[12].

لكن رغمَ هذا الدَّعم المتواصل، من قِبَلِ بريطانيا لليهود، لم تكنِ الدَّولة العثمانيّة، تهتمُّ بذلك والدَّليل عليه أنَّها لم تستجِبْ لكلِّ هذه الاقتراحات، أوِ المحاولات البرِيطانيّة واليهوديّة.

استطاع اليهودي البريطاني موسى مونتفيوري في عام 1849[13]، من الحصول على فَرَمانٍ من السّلطان العثمانيّ عبد المجيد (1839-1861) يسمح له بِشراء بعض الأراضي، في القدس الشَّريف، والذي تمكَّن في عام 1855م من شِراء أوَّلِ قطعة أرضٍ فيها؛ تحت ذريعةِ إنشاء مستشفى عليها، وحصل على التَّرخيص في عام 1859م، إلّا أنَّه قام بدلًا عن ذلك بإنشاء أوَّل حيٍّ خاصٍّ لليهود يُقام في القدس الشَّريف، والذي أُطْلِقَ عليه حيَّ مونتفيوري[14]، وحين أرادتِ السُّلطات العثمانيّة إيقافَ البناء؛ لمخالفته الفَرَمان السُّلطانيّ تدخَّلَ القُنصل البرِيطانيّ جيمس فن؛ لِما لديْهِ من نفوذ، فسَمَحَتِ السُّلطات العثمانيّة باستمرار بناء الحيِّ[15].

وجدير ذكْرُه ما أشارَ القنصل البرِيطانيُّ في القدس جيمس فن، في عام 1849م، إلى إنَّ عديدًا من اليهود الرُّوس، في بلاد الشّام طَلَبوا الحماية من بريطانيا، بعد حصولهم على البَراءة من القنصل الرُّوسيّ في المِنْطقة، والذين طَلَبُوا الحماية البرِيطانيّة يصِلُ عددُهم إلى (395) يهوديًّا من بينهم (93) يهوديًّا في القدس وَحْدَها، كذلك أكَّد القنصل البرِيطانيّ في القدس، بمذكّرة أرسَلَها لِوزارة الخارجية البرِيطانيّة، في 15 كانون الأوَّل 1857م، اقترح فيها على الحكومة البريطانية قيامَها باستحصال موافقاتٍ من أجلِ إنشاء مستعمرات زراعيّة لليهود في القدس تحت الحماية البريطانيّة[16].

أسَّست بِريطانيا في عام 1865، (صُندوق اكتشاف فِلَسْطين)[17]، من أجل تسهيل عمليّة الاستيطان اليهوديّ في فِلَسْطينَ، وأخذت تُرْسِلُ بين حين وآخَرَ، مجموعةً من الباحثين والمُستكشفين لدراسة المِنْطقة تابعين لسلاح الهندسة العسكريّة البرِيطانيّة[18]، وجديرٌ ذكْرُه أنَّ الأملاكَ اليهوديّة في لواء القدس، كانت فقط في مدينة القدس والخليل، وصفَدَ، وطبريّا، ولم تكن لهم أملاكٌ خارج هذه المناطق، إلّا بعد أنِ استطاع موسى مونتفيوري شراءَ القطعة السّابقة، خارج أسوار القدس، ولم يكن ذلك لِيَتُمَّ إلّا بموافقة السُّلطان العثمانيّ[19].

كذلك عمَلِتْ بريطانيا عن طريق قُنْصليّتها في القدس، بربطِ فِلَسْطينَ وسوريا برقيًّا في عام 1865، فضلًا عن قيام القُنْصليّة البرِيطانيّة بزيادة

دَوْرِهـا في حمايـة اليهـود، ومصالحهـم، وتسـهيل اسـتقرارهم في لـواء القـدس، وتسـهيل أسـباب الرّاحـة، وتوفيرهـا، لِـزُوّار القـدس، مـن رعايـا الـدُّول الأوروبيّـة، لاسـيَّما البرِيطانيِّـين، ومـن بينهـم الرّعايـا اليهـودُ بشـكل خـاصٍّ[20].

شَرَعَ قانـون في عـام 1869، يسـمَحُ للأفـراد والمؤسَّسـات الأجنبيّـة حـقَّ امتـلاك الأراضي، بأنحـاء الدَّولـة العثمانيّـة مـا عـدا الحجـازَ، فـكان لهـذا القانـونِ الأثـرُ الكبـير، والبدايـة في التَّغلغـل والاسـتيطان، والزّيـادة في الوجـود اليهـوديّ، في المنطقـة والثَّغـرة التـي اسـتغلَّها الاسـتعمار الأوروبيّ، خاصّـة بريطانيـا بنقـل جماعـات مـن يهـود أوروبـا وتوطينهـم في لـواء القـدس[21].

وطلـبَ القنصـل البرِيطـانيُّ في إسـتانبولَ في عـام 1875، مـن السّـلطان العثمانيّ عبـد العزيـز (1861-1876) أنْ يسـمَحَ لليهـود بتقديـم تظلُّمِهـم إليـه عَـبْرَ القناصل البرِيطانيّـين، لكـنَّ هـذا الطَّلـب قـد رفضَـه السّـلطانُ، إلّا إنَّ بريطانيـا لم توقِـفْ دعمَها لليهـود[22].

زاد النَّشـاط اليهـوديّ البريطـانيّ في المِنْطقـة؛ نتيجـةَ شراء الحكومـة البريطانيّـة أسْـهَمَ الحكومـة المِصْريّـة في قنـاة السُّـوَيْسِ عـام 1875، وكانـت أمـوالُ هـذه الصَّفقـة أمـوالَ اليهـود؛ إذ تمَّـت عمليّـة الـشِّراء عـن طريـق رئيـس الـوُزراء البرِيطـانيِّ اليهـوديّ دزرائيـلي[23]، وبتمويـلٍ مـن عائلـة (روتشـيلد) اليهوديّـة[24].

ثانيًـا : بدايـات الهجـرة اليهوديّـة إلى فِلَسْـطينَ، ودَوْرُ فرنسـا فيهـا 1876-1841

بجهـود البيوتـاتِ الماليّـة اليهوديّـة، في كلٍّ مـن فرنسـا، وبريطانيـا، وروسـيا، وغيرِهـا مـن الـدُّول الأوروبيّـة، بـدأ منـذ عـام 1830 نشـاطُ اليهـود وتأثيرُهـم الحقيقـيُّ في فِلَسْـطين، فحاولـتْ فرنسـا دعـمَ يهـود فرنسـا؛ مـن أجـل تحقيـقِ تطلُّعاتهـم في فِلَسْـطين، وتَحْصُـلُ بالمقابـل عـلى الدَّعـم الاقتصـاديِّ اليهـوديّ، فضـلًا عـن اتِّخاذهـم ذريعـةً للتدخُّـل في الشُّـؤون الدّاخليّـة للدَّولـة العثمانيّـة، وفي أثنـاء السَّـيطرة المِصْريّـة لبـلاد الشّـام أخـذتِ القضيّـة طابَعًـا دَوليًّـا، إذ بـدأتِ

المشاورات الدّولية لحلِّ هذه المشكلة، وظهورُ فكرةٍ لإقامة الدَّولة اليهوديّة، والتي أيَّدها كثيرٌ من السّياسيِّين الأوروبيِّين، خاصّةً في فرنسا وبريطانيا، بدعم من اليهود[25].

وجديرٌ بالذّكرِ أنْ حاولتْ فرنسا استغلالَ اليهود من أجل دعمِ حملةِ نابليونَ بونابرتَ على مِصْرَ عام 1798، وتمويلها، مقابل تَبنِّيها مشروعَ توطينِ اليهود في فِلَسْطين[26]، لكنَّ هذا المشروعَ لم يَرَ النُّورَ بسبب هزيمةِ فرنسا في بلاد الشّام[27].

كذلك رَوَّجَ النّائب اليهوديُّ في البَرلمان الفرنسيِّ أدولف كريميه، في أربعينيّات القرن التاسعَ عَشَرَ، لهذه الفكرةِ عن طريق خطابٍ له في البرلمان؛ لكي تتَبَنَّى فرنسا، وتدْعَمَ، وتُساندَ هجرةَ اليهود إلى فِلَسْطين، وتستغِلَّهم بالمقابل لخدمة مصالحِها في المِنْطقة، وكانت فرنسا تسعى للتخَلُّص من اليهود الفرنسيِّين الذين أصبحوا يُسيطرون على الاقتصاد الفرنسيِّ ويسيّرونه، كذلك أنَّ دعمَها لهجرتهم إلى فِلَسْطين سوف يكون له دَوْرٌ في تطوُّرِ النُّفوذ السّياسيّ لها في القدس[28].

عملت فرنسا على تشجيع اليهود للهجرة إلى فِلَسْطين والتَّرويج للدَّولة اليهوديّة، بعدَّة وسائلَ، منها عن طريق المفكِّرين اليهود الدّاعمين لهذا المخطَّط، وعن طريق الاتِّحادات والجمعيّات اليهوديّة، وبذلك كانت هذِه الخُطوات لها دَوْرٌ كبير في الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين[29].

ومن الشَّخصيّات الفرنسيّة التي شجَّعت الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين السِّكرتير الخاصّ بالإمبراطور الفرنسيّ نابليون الثّالث (1852-1870)، وهو آرنست لاهاران[30]، والذي يُعدُّ الممثِّلَ الرّئيس للصَّهيونيّة غير اليهوديّة في فرنسا، إذ دعا خلال كتابه (المسألة الشَّرقيّة اليهوديّة) إلى إعادة بناء الدّولة اليهوديّة في فِلَسْطين تحت رعايةٍ ووصاية فرنسيّة، وأنْ يحاولَ الأثرياء اليهود دَفْعَ الأموال إلى السُّلطان العثمانيّ من أجل أنْ يؤيِّدَ مخطَّطاتهم في فِلَسْطين[31].

أبدى القناصل الفرنسيّون في القدس الشَّريف، اهتمامًا ملحوظًا بهجرة اليهود إلى فِلَسْطين، إذ تناقشوا في ذلك مع بقيَّة القناصل الأوربيِّين، خاصّةً البِريطانيِّين، ومُتخطِّين القوانين والأنظمةَ العثمانيّة، إذ حاول القناصل الفرنسيِّون في المرحلة الأولى للاستيطان غير المُنظَّم في المدَّة ما بين (1830-1876) بَسَطَ الحماية على اليهود من ذوي التَّبَعِيّة الفرنسيّة، وتسهيل إقامتهم واستيطانهم، عن طريق قيام السِّفارة الفرنسيّة في إستانبولَ بإتمام صَفقات خاصّةً؛ لشراء الأراضي في فِلَسْطين تحت أسماء فرنسيّة، أو حتَّى لبعض القناصل الفرنسيِّين، ومِنْ ثمَّ بعد ذلك إعطاؤُها، أو بيعُها لليهود الفرنسيِّين المقيمين في القدس الشَّريف[32].

واشتدَّ التّنافس الاستعماريّ بشكل كبير، ما بين فرنسا وبريطانيا، في بلاد الشّام، فانعكس ذلك على اليهود، وتحديدًا في أثناء المدَّة (1839 - 1845) إذ حاول كلُّ طرفٍ كَسْبَ اليهود في بلاد الشّام، أو في أوروبا إلى جانبه، لكنْ بريطانيا كانت الأكثر سيطرةً في الدَّولة العثمانيّة، وذلك لدعمِها الأخيرة بالتَّخلُّص من نفوذ محمد علي باشا على بلاد الشّام؛ لذلك أغلب اليهود مالوا لجانبها[33]، وبدعمٍ من فرنسا تأسَّسَ فيها في عام 1860 (الاتِّحاد الإسرائيليّ العالميّ)[34]، الذي كان له دَوْرٌ كبير في رعاية الاستيطان، ومساعدة اليهود في الهجرة إلى فِلَسْطين، كما تعاون الإمبراطور الفرنسيّ نابليونُ الثّالث مع اليهود؛ من أجل تحقيق أهدافه التَّوسعيّة في بلاد الشّام، وفي عهده كذلك مَوَّلَ بُرجوازيّو فرنسا المُستعمرات الزّراعية التي أقامها اليهود في فِلَسْطينَ، وأصبحت زوجةُ الإمبراطور أوجين رئيسةً لجمعيّة استعمار فِلَسْطين اليهوديّة، وطرَحَتْ فرنسا كذلك في عَقْدِ السّتّينيّات من القرن التّاسع عَشَرَ، مشروع الكيان اليهوديّ في فِلَسْطين، ويكون تحت الحماية الفرنسيّة، لكنَّ خسارة فرنسا في حربها، مع ألمانيا عام 1870، قد أنْهَى هذا المشروع[35].

ثالثًا: بدايات الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، ودَوْرُ ألمانيا فيها 1876-1841

بدأت ألمانيا في تدعيم وجودِها في فِلَسْطين، عن طريق قيامِها بتأسيس قُنصليّة لها في القدس عام، 1842، وعَيَّنَتْ أوَّل وكيلٍ قُنصل لها، وهو آرنست شولتز، وسَرْعان ما تحوَّل إلى قنصل، واهتمَّ هذا القنصل باليهود، وجعلَهُم من أوْلَويّاته في أثناء المدَّة (1842-1851)، لكنْ معظم هذا الدّعمِ كان محصورًا بالجوانب الاجتماعيّة والاقتصاديّة[36].

وفي أربعينيّات القرن التّاسعَ عَشَرَ، وصُعودًا كان النَّشاط الأكبر لألمانيا في فِلَسْطين، وبلاد الشّام من قِبَلِ الأشخاص والجمعيّات الألمانيّة التي نَشِطَتْ في الجوانب التَّبشيريّة، والاستقرار في فِلَسْطين كذلك في دعمِها للأقلّيّات الدِّينيّة من النَّصارى واليهود، أمّا الجانب الحكوميُّ فلم يكن بهذا المُستوى[37].

ومن جُملة الأعمال الألمانيّة تُجاه مساندةِ اليهود، أنْ قام القنصل الألمانيُّ الثّاني في القدس، الدُّكتور روز بنشاط واسع مع اليهود، وذلك بسبب العُلاقات المَتينة التي كانت تربِطُه بالحاخامات اليهوديّة هناك، لذلك سَخَّرَ أنشطةَ القنصليّة وفعاليّاتِها لتأمين حاجاتهم المعيشيّة، خاصّةً في أثناء القَحْطِ الذي عَصَفَ بِفِلَسْطين في عام 1866[38].

كذلك تؤكِّدُ نائلة الوعريّ، من خلال اطِّلاعها على الوثائق السِّرّيّة للأرشيف الصَّهيونيّ على الدَّعم الذي حصل عليه اليهود، بعد منتصف القرن التّاسعَ عَشَرَ، من قِبَلِ القناصل الألمان بجميع الجوانب لتحسين أوضاعِهم الاقتصاديّة، والثّقافيّة، والاجتماعيّة في القدس، وحَيْفا[39].

إنَّ القناصل الألمانَ وَوُكلاءَهُم، في بلاد الشّام والقدس، كان واجبُهم متابعةَ مصالح بلادِهم في الأنشطة السّياسيّة، والاقتصاديّة والتَّبشيريّة كافَّةً في مستعمراتها التي أقامتها في فِلَسْطين[40]، وكان ذلك ظاهريًّا، أمّا في الباطن فكان هؤلاء يَدْعَمُون الوجودَ اليهوديَّ في فِلَسْطين، خاصّةً للرَّعايا اليهود الذين يحملون الجِنسيَّة الألمانيّة، وإنْ كان هذا الدَّعمُ مُوجَّهًا في بعض الأحيان، عن طريق الجمعيّات والمنظَّمات الألمانيّة العاملة في لواء القدس، وبعد استكمال ألمانيا وَحْدَتَها عام 1870، أقامت عُلاقاتٍ قويّةً مع الدّولة العثمانيّة[41].

رابعًا: بدايات الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، ودَوْرُ روسيا فيها 1841 - 1876

كان القرن التّاسعَ عَشَرَ من أسوَءِ الفترات، بالنِّسبة للعُلاقات العثمانيّة - الرُّوسيّة، وذلك بسبب أنَّ الدَّولتَيْنِ كانتا متجاورَتَيْنِ، وكانت عُلاقاتهما على مدى القرون السّابقة عُلاقةَ حروب وعداءٍ دائم، وأصبحتِ الدَّولة العثمانيّة ضعيفةً، في هذا القرن بعكس روسيا التي أصبحَتْ من الدُّول الأوروبيّة العظمى، والتي بدأت تَسْعى للوصول إلى المياه الدّافئة، في البحر المتوسِّط تحت ذريعة حماية الأقلّيّات الدّينيّة من النَّصارى الأرثوذكس، وبما أنَّ معظم المناطق التي تُسيطر عليها الدَّولة العثمانيّة في القارَّة الأوروبيّة من النَّصارى الأرثوذكس، فإنَّ المشكلات والحروب دائمًا، ما تحدث بين الطَّرفيْنِ، لذلك فإنَّ اهتمامَها باليهود لم يكن واضحًا في بداية القرن التّاسعَ عَشَرَ، ولم تكن تحتاج لهم لكي تتدخَّلَ في الشُّؤون الدّاخليّة العثمانيّة، ومقارنةً بما لديها من رعايا أرثوذكس، فكانت معظم المشكلات التي حدثت بين الجانبيْنِ تحت ذريعة مطالبةِ روسيا بحمايتهم[42].

كان الوجود القنصليِّ الرّوسيِّ في القدس الشّريف، وبلاد الشّام، يرجع إلى عام 1812، إذ فُتِحَتْ أوَّلُ قنصلية روسيّة في يافا؛ من أجل خدمة الحُجّاج الرُّوس القادمين إلى الأماكن المقدَّسة، ومن الأمور التي تساهَلَتْ بها روسيا، هي أنَّها سمحت عام 1847 بأنْ تكون حماية اليهود الرُّوس الذين استقرُّوا في بلاد الشّام، والقدس الشَّريف من اختصاص بِريطانيا، واستمرَّ هذا الوضع إلى عام 1890 إذ استرجعتْ روسيا حمايتَها على اليهود الرُّوس في فِلَسْطينَ[43].

وجديرٌ ذِكْرُه أنَّ روسيا قد فتحتْ لها قنصليّةً في بيروت بعد عام 1840، وأكملت لها واجباتِ تدعيم النُّفوذ الرُّوسيّ في المِنْطقة، فضلًا عن مراقبة نشاط القناصل الأوروبيِّين، خاصّةً بريطانيا وفرنسا، في ما يخُصُّ حمايةَ اليهود الرُّوس، وبعد حرب القَرْمِ، واستقرارِ الأوضاع ما بين الدَّولة العثمانيّة وروسيا، أوكَلَتِ الأخيرةُ إلى قناصلها في بلاد الشّام والقدس، على وجه

الخصوص، رِعايةَ المصالح الرُّوسيّة للحجّاج والتُّجّار، من النَّصارى واليهود، وبَذْلَ أقصى الجهود لحماية؛ مصالح اليهود الرُّوس، وتوفيرَ الحماية لهم، مقابلَ رسومٍ يدفعها اليهود للقنصليّة الرُّوسيّة، لكنْ رغْمَ ذلك كان اليهود الرُّوس في هذا الوقت، يُفضِّلون الحماية البِريطانيّة لهم؛ لما فيها من امتيازاتٍ واسعة في الدَّولة العثمانيّة على الحماية الرُّوسيّة، واستمرَّ ذلك حتَّى عهدِ السّلطان عبد الحميد الثّاني[44].

خامسًا: بدايات الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، ودَوْرُ النَّمسا فيها 1876-1841

لم يكُنْ للنَّمسا أيَّةُ أطماع في ممتلكاتِ الدَّولة العثمانيّة في بلاد الشّام، لكن في المقابل كان لها أطماعٌ تُجاه الجزء الأوروبيِّ من الدَّولة العثمانيّة، لذلك اهتَمَّتْ بإقامة عُلاقاتٍ تجاريّة معَ الدَّولة العثمانيّة، خاصّةً في بلاد الشّام، لذلك فإنَّ جميع البَعْثاتِ النَّمساويّة، في بلاد الشّام، لم تكن سِوَى مؤسَّساتٍ اجتماعيّة خيريّة[45].

أقامتِ النَّمسا أوّلَ قنصليّة لها في القدس، عام 1849، وبدأتْ تعمَلُ على تدعيم نشاطِها الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ، في المِنْطقة، لكنَّ الوجودَ البريطانيَّ، والفرنسيَّ، والألمانيَّ حالَ دون تحقيق النَّمسا أهدافَها في المِنْطقة[46].

لكنَّ المؤرِّخ أحمد نوري النُّعَيْميَّ له رأيٌ آخَرُ بالنِّسبة للعُلاقات اليهوديّة - النَّمساويّة في فِلَسْطين، إذ يذكر أنَّه في عام 1850 كان في فِلَسْطينَ بحدود (5000) نسمةٍ من يهود الأشكنازين (3000)، منهم تحت الحماية النَّمساوية[47].

وذلك يعود إلى أنَّ اليهودَ في تلك المدَّة، لم يُشكِّلوا مشكلةً للدّولة العثمانيّة، كما أنَّ الحماية النَّمساويّةَ، في تلك المدَّة، مرتبطةٌ بالجانب الاجتماعيِّ والتِّجاريّ، وما يؤكِّدُ ذلك أنّه بعد ذلك التّاريخ لم تذكر المصادرُ أيَّ نشاطٍ سياسيٍّ، أوِ اجتماعيٍّ، أوِ اقتصاديٍّ للنّمسا مع اليهود، وذلك بسبب الدَّوْرِ البريطانيِّ في المِنْطقة الذي كان الدَّاعمَ الرَّئيسَ للوجود اليهوديِّ في فِلَسْطينَ.

وقد تعاقب ثلاثةُ قناصلَ للنَّمسا في فِلَسْطين للمدَّة (1849 – 1914)، ولم يكن لهم أيُّ نشاط في دعم الاستيطانِ اليهوديِّ، في فِلَسْطين، وبذلك انحَصَرَ النَّشاط النَّمساويُّ في البُعْدَيْنِ الاجتماعيِّ والاقتصاديِّ، دون التَّدخُّل بالجانب السّياسيّ [48].

المبحث الثاني: الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ 1876 - 1914

أوّلًا: الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ، ودَوْرُ بِريطانيا فيها 1876 – 1914

عندما تسلَّمَ السّلطان العثمانيُّ عبد الحميد الثّاني الحكمَ (1876-1909)، أَوْلَى اهتمامًا كبيرًا بالمنطقة العربيّة، خاصّةً متصرّفيّةَ القدس الشَّريف؛ لَمّا شَعَرَ بخطورة الوجود الصَّهيونيّ، الذي بدأ يتَّجِهُ نحو الأراضي المقدَّسة فيها، وقد رفضَ السّلطان في عام 1876، عَرْضًا قدَّمَه حاييم غوديلا، وهو من الشَّخصيّات السّياسيّة اليهوديّة، بشراء مِساحات من الأراضي في القدس الشَّريف؛ لإسكان المهاجرين اليهود فيها، ورغْمَ رفضِ السّلطان لِمِثلِ هذا المشروع، إلّا أنَّ اليهودَ الصّهاينة لم يتوقَّفوا عن هدفِهم المنشود، عند هذا الرَّفض العثمانيّ[49].

توجهت بعضُ الشَّخصيّات البريطانيّة المتعاطفة معَ اليهود، إلى إستانبولَ عام 1876م، وفي مقدِّمتهم لورانس أوليفانت[50]، الذي دعا بريطانيا لدعمِ مشروعِه الرّامي إلى إنقاذ الدَّولة العثمانيّة من مشكلاتها المُستعصية، عن طريق إدخال رؤوسِ أموالٍ يهوديّة، في السُّوق العثمانيّة؛ لتنشيط الاقتصاد العثمانيِّ المُتهالك، وعند وصولِه التقى السُّلطان العثمانيَّ عبد الحميد الثّاني، وقدَّمَ إليه طلبًا لإنشاء شركة استيطان يهوديّةٍ، بقوله: ((إنَّ الأُمّة التي تقِفُ إلى جانب اليهود، وتدْعَمُ مسألة عودتِهم إلى فِلَسْطينَ ستَكْتَسبُ دعمَهم في المجالات الماليّة، وتأييدَهم على الصَّعيد الإعلاميِّ، في مختلف بلدان العالَم، فضلًا عن ذلك، فإنَّ اليهود يُقدِّمون لهذه الأُمّة كلَّ دعمٍ مُمكنٍ في المجال السّياسيِّ، ويُعاضدونها ضدَّ أيّة دولة مُعادية))[51].

لكنَّ هذه الجهودَ لم تُغيِّرْ موقفَ السُّلطان عبدِ الحميد الثّاني تُجاهَ اليهود، إذ أبلغَ أوليفانت بأنَّ اليهود يَستطيعون الاستقرارَ في أيَّة مِنْطقة من مناطق

الدَّولة العثمانيّة إلّا متصرّفيّة القدس الشَّريف، وأنَّها ترحِّبَ باليهود كمواطنينَ، لكنْ لا تُرحِّبُ بإقامة مملكةٍ، أو موطنٍ خاصٍّ لليهود في فِلَسْطين أساسُها الدِّينُ، فكان موقِفُ السّلطان قد صَدَمَ أولفيانت فراحَ يَنْشر الدِّعاية المُضادةَ للسُّلطان، الأمرُ الذي أدَّى إلى طردِه من إستانبولَ، ومَنْعِه من دخولها[52]، فأرسل رئيسُ الوُزراء البِريطانيّ ووزير الخارجيّة بالمرستون، تأييدًا للضُّغوط اليهوديّة برسالةٍ إلى سفيرِهم، في إستانبولَ في تلك المدَّة طلبوا منه أنْ يبْذُلَ كلَّ الجهد من أجل إقناعِ السُّلطان عبد الحميدِ بالسَّماح للهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ، كما استعان اليهود الرُّوسُ بالسَّفير الأمريكيِّ في إستانبولَ لِيَبْذُلَ ما بوُسْعِه لدى السُّلطان للسَّماح لهم بالاستقرار في فِلَسْطينَ، فجاء ردُّ السّلطان بالرَّفض على جميع هذِه المحاولات، وصرَّحَ قائلًا: ((على الدّولة العثمانيّة صاحبةِ السِّيادة على فِلَسْطينَ أنْ تخوضَ صراعًا سياسيًّا مريرًا؛ دفاعًا عن هذا البلد ضدَّ القوى الصَّهيونيّة والأوروبيّة المُتعاطفة معها، والمناصرة لها))[53].

إنَّ هذا التَّغلغل لم يتوقَّفْ رغْمَ موقِفِ السّلطان والدَّولة العثمانيّة، خاصّةً بعد مقتلِ القيصر الرُّوسيّ إسكندر الثّاني عام 1881، إذ تصاعَدَتْ موجةُ الهجرة إلى أميركا، وإلى فِلَسْطينَ نتيجةً للعِداء الذي تصاعد ضدَّ يهود روسيا، وذلك بسبب مُشاركتِهم في عمليّة الاغتيال، إذ أُقيمت لهم عدَّةُ مستوطنات على أرضٍ مساحتها (3340) دونمًا، بِيعَتْ بالمزاد العلنيِّ عام 1882م؛ بسبب عَجْزِ أصحابها عن دفع الضَّرائب المُستحقّة عليهم، وبتدخُّلٍ من نائب القنصل البِريطانيِّ الحاخام حاييم غوديلا تمَّتِ الصّفقة لصالح اليهود، وكانت هذه الأراضي بمَثابةِ نُواةِ استيطان اليهود في فِلَسْطين[54].

وقام أدموند روتشيلد اليهوديّ البِريطاني، في عام 1882 بتأسيس (منظَّمة الاستعمار اليهوديّ)، والتي كانت تهدُفُ إلى استعمار فِلَسْطينَ، عن طريق دفعِ الأموال، وشراء الأراضي لليهود الرّاغبين في الهجرة إلى فِلَسْطين، واستطاع أنْ يخْدُمَ اليهود في هذا الجانب عن طريق شرائِه أكثرَ من (42) مستعمرةً في فِلَسْطينَ، حتَّى عام 1900[55]. وأدَّى التّدخُّلُ البِريطانيُّ والأوروبيُّ

في شؤون الدّولة العثمانيّة، ومساندتهم لليهود إلى أنْ تُصبح أملاكُ اليهود من الأراضي في متصرّفيّة القدس، في نهاية عام 1882، ما بين (22) إلى (25) ألفَ دونمٍ[56].

وقد مر تاريخ الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمرحلتين بين الاعوام (1882-1914)، كانت المرحلة الأولى ما بين عامي (1882-1903) أما المرحلة الثانية فكانت ما بين (1904-1914)، إذ كانت هذه الهجرات بشكل كبير جداً، وكان لها الأثرُ الكبير في تغيير الوضع الدِّيموغرافي في فِلَسْطين[57]، وساءتِ العُلاقات ما بين الدَّولة العثمانيّة وبريطانيا على إثْرِ احتلال مِصْرَ، عام 1882، والتي ظهَرَتْ على حقيقتها في التوَسُّعِ على حِساب الدَّولة العثمانيّة، كما وتوحَّدَت بذلك المصالح البرِيطانيّة واليهوديّة في فِلَسْطين[58].

ومن أجل مساعدة اليهود للتخلُّص من القوانين العثمانيّة، عمِلَتِ القنصليّات البريطانيّة على إصدار جوازاتِ سفَرٍ بريطانيّة لهم؛ لتسهيلِ دخولهم إلى فِلَسْطين[59]، لكنَّ الدَّولة العثمانيّة، وعلى رأسِها السّلطان العثمانيّ، أصدرتْ مجموعةً من القوانين، في عام 1882، للحدِّ من الهجرة اليهوديّة، أوِ الزِّيارات اليهوديّة إلى القدس الشَّريف، لكنْ بسبب الضُّغوط الأوروبيّة أصدرَ السّلطان العثمانيُّ تعليماتٍ عام 1884، تسمَحُ لليهود بزِيارة الأماكنِ المقدَّسة؛ شَرْطَ أنْ لا تتعدَّى الشَّهرَ الواحد[60].

أرسلتْ بريطانيا في عام 1884، أحدَ رجال الدِّين الدّاعم لليهود، إلى السُّلطان عبد الحميد من أجل إقناعِه بعودة اليهودِ إلى فِلَسْطين، وما الفائدةُ التي سوف تحصَلُ عليها الدَّولة العثمانيّة من ذلك!؟[61].

وبعد عدَّة أعوام، أيْ عام 1887، ورغمَ أنَّ العُلاقاتِ البريطانيّةَ العثمانيّةَ، لم تكنْ على سابقتها، لكنْ بسبب ضَعْفِ الدَّولة العثمانيّة فقدِ استجاب السّلطان للضُّغوط البرِيطانيّة للتَّخفيف من شروط زِيارة اليهود، إذ أصدرَ قرارًا في

عـام 1888، سَـمَحَ لليهـود الإقامـةَ في القـدس الشَّريـف، لمـدَّة ثلاثـة أشْـهُرٍ، كـما أصـدرَ تعليـماتٍ أخـرى، منهـا شَرْطُ أنْ يحمِـلَ اليهـود الأجانـبُ جـوازَ السَّـفَر، ويحصلـون عـلى تأشـيراتِ الدُّخـول، مـن قِبَـلِ السِّـفارات العثمانيّـة في دُوَلهـم[62].

وتُشـير المراسـلات المتبادَلَـةُ، مـا بـين القنصـل البِريطـانيّ، في القـدس الشَّريـف، والحكومـة البريطانيّـة، في عـام 1890، إلى أنَّ الدّولـة العثمانيّـة قـد وصلـت إلى درجـة كبـيرةٍ مـن عـدمِ الثِّقـة بسياسـة بِريطانيـا في المِنْطقـة، وخاصّـةً في فِلَسْـطينَ[63]. وفي عـام 1892 أصـدرَ صنـدوقُ اكتشـاف فِلَسْـطين عـددًا مـن الدِّراسـات والكُتـبِ التـي تعمـلُ عـلى تشـجيع اليهـود للهجـرة والاسـتيطان، في متصرّفيّـة القـدس الشّريـف[64]. يبـدو مـن ذلـك أنَّ بريطانيـا بدأت تَسْـعى وبشـكل كبـير، لتشـجيع اليهـودِ بالهجـرة، إلى فِلَسْـطين، وذلـك لأنّهـا سـوف تعـود بالفائـدة لبريطانيـا، والكِيـان الصَّهيـونيّ.

كتـب القنصـل البِريطـانيُّ في القـدس تقريـرًا إلى الحكومـة البِريطانيّـة، في عـام 1892، يؤكِّـد فيـه عـلى تشـديد الدّولـة العثمانيّـة، عـلى عـدم السّـماح لليهـود بالاسـتقرار في متصرّفيّـة القـدس الشَّريـف، أمّـا بمـا يتعلَّـق بالـزُّوّار، فإنَّهـا تسـمحُ لهـم شرْطَ عـدمِ تجـاوزِ المـدَّة التـي تَسْـمح بهـا الدَّولـةُ العثمانيّـة[65].

كان الـذي في عـام 1893، أنْ قـام اللـوردُ البِريطـانيّ اليهـوديّ، وعضـوُ المجلِـس النّيـابي صموئيـل مانتاجـو، وكان أحـدَ أعضـاء حـزبِ الأحـرار البِريطـانيّ، ورئيسًـا لجمعيّـة (أحبّـاء صَهيـونَ)، بتقديـم طَلَـبٍ إلى السـلطان العثـمانيِّ عبـد الحميـد الثّـاني، للسَّـماح لليهـود بالاسـتقرار في متصرّفيّـة القـدس الشَّريـف، لكـنَّ هـذا الطَّلـب رفضَـه السُّـلطان[66].

وبـرزتْ في العَقـدِ الأخـير مـن القـرن التّاسـع عَـشَرَ، شـخصيّةٌ يهوديّـة لقيـادة الحركـة الصَّهيونيـة وكانت،هـذه الشـخصية هـي ثيـودور هرتـزل[67]، واسـتعان هـذا بالـدّول الأوروبيّـة، وبخاصـة بِريطانيـا التـي توافقـت مصالحهـا ومصالـحَ اليهوديّـة في تفتيـت الدّولـة العثمانيّـة[68]، وفي أيلـول مـن عـام 1897 عقـدتِ

المنظَّمة الصَّهيونيّة العالميّة برئاسة هرتزل مؤتمرَها الأوَّلَ في مدينة بازل بسويسرا، وذلك لوضع الخُطط اللازمة لإرجاع اليهود إلى فِلَسْطين[69].
وجد هرتزل تجاوبًا من بِريطانيا، خاصّةً عندما عُقد المؤتمر الصَّهيوني الرّابع في لندنَ، عام 1900[70]، وقد طُرحت مشروعات عدَّة، وفي أماكنَ مختلفةٍ؛ لإقامة وطن قوميٍّ لليهود، منها (الأرجنتين، فِلَسْطين، سَيْناءُ، العريشُ، وقبرص، وشرقُ إفريقيا، وغيرها)[71].

وفي بداية القرن العشرين ظهرَ على السّاحة السّياسيّة البِريطانيّة آرثر جيمس بلفور[72]، المساند لمشروع الصَّهيونيّة؛ للاستقرار في فِلَسْطين، وهذا ما بُدِئَ العملُ عليه منذ عام 1905[73].

عُقد في لندنَ مؤتمرٌ في عام 1907عُرف بمؤتمر كامبل بانرمان، نسبةً إلى رئيس الوُزراء البِريطانيّ كامبل بانرمان، والذي حضرَه دُول الاستعمار (بريطانيا، فرنسا، هولندا، بلجيكا، إسبانيا وإيطاليا، والبُرتغال)، أكَّد فيه رئيس الوُزراء البِريطاني على وجوب إنشاء وطنٍ قوميٍّ لليهود في فِلَسطين، وذلك لمنعِ تكوين اتِّحادٍ ما بين العرب في هذِه المناطق في المستقبل[74].
وبعد خلعِ السُّلطان عبد الحميد الثّاني، وسيطرةِ جماعة الاتِّحاد والتَّرقّي العثمانيّ على السُّلطة، سعتْ بريطانيا من أجل دعمِ الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، وفي عام 1911م، بالضَّغط على حكومة الاتِّحاد والتَّرقّي من أجل منحِ الأجانب حقَّ التّملُّك والتَّصرُّف في الأراضي، كالعثمانيِّين تمامًا في جميع الأراضي العثمانيّة، والذي وافقتْ عليه الحكومة العثمانيّة، ماعدا الحجازَ، ثمّ صدورِ قانون نزعِ الملكيّة العثمانيّ في عام 1914، وهو دَوْرٌ كبير في تسرُّب الأراضي في القدس الشَّريف إلى اليهود، وبدعم مباشَرٍ من قِبَلِ بِريطانيا، وكان قيام الحرب العالميّة الأولى 1914-1918 إيذانًا بتحقيق الحلم اليهوديّ على يد بريطانيا[75].

ثانيًا: الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين ودَوْرُ فرنسا فيها 1876 – 1914

في أثناء عهد السّلطان عبد الحميد الثّاني (1876-1909) صدرتْ مجموعة

من القوانين التي تَحُدُّ من الهجرة اليهوديّة، وعملَتْ فرنسا وقناصلُها في بلاد الشام، إلى إصدار جوازاتِ سفَرٍ مزوَّرة لبعض اليهود، من التَّبعيّة الفرنسيّة؛ لتسهيل دخولِهم إلى القدس الشَّريف، هذا الأمر دفعَ السّلطاتِ العثمانيّةَ إلى إصدار قانونٍ يُلزم الأجانب استحصالَ موافقةِ الدّخول إلى القدس الشَّريف، من المجلس البلديّ فيها[76].

واستخدمتِ القنصليّة الفرنسيّة في القدس الشّريف، بعضَ موظَّفيها، بل حتَّى القنصلِ الفرنسيِّ نفسه، في الإسهام بشراء أراضٍ زراعيّة، في متصرّفيّة القدس الشّريف، وبيعِها لأشخاص وجمعيّاتٍ يهوديّة، ومن الأمثلة على ذلك القنصلُ الفرنسيُّ في يافا فلير، الذي اشترى سُدُسَ الأراضي الزّراعيّة في قرية الخُضَيْرة وباعَها في عام 1879م لأشخاص يهود، وفي السّياق نفسه اشترى نائب القنصل الفرنسيّ في يافا عام 1884، أرضًا مساحتُها (3000 دونم) في قضاء الرَّملة، وباعَها إلى اليهود، الذين أقاموا مستوطنةً عليها، في نهاية عام 1884، باسم عَزيرة [77].

كذلك تدخَّلتِ القنصليّة الفرنسيّة، تحت ذريعة حماية الأقلّيّات الدّينيّة، في حماية بعض اليهودِ في متصرّفيّة القدس الشَّريف، بالضَّغط على السُّلطات العثمانيّة لِتسهيل أمورِهم، أوْ إلغاء بعض الأحكام الصّادرة بحقِّهم، تحت ذريعة تبعيَّتِهم لفرنسا[78]. واقتصَر النَّشاط الفرنسُّي، في أثناء المدَّة (1882-1914) على دعم اليهودِ بشراء الأراضي، وبيعِها لهم، وتشجيعِهم على الهجرة والاستيطان، في فِلَسطينَ[79].

ويرجع ضَعْفُ الدَّورِ الفرنسيّ في هجرة اليهود، في أثناء تلك المدَّة، إلى عدَّة أمور منها: تردِّي أوضاعها الدّاخليّة، والسّياسيّة في أوروبا، أمّا ضَعْفُ دعمها لليهود في متصرّفيّة القدس، فراجعٌ إلى أنَّ بِريطانيا كان نشاطُها أوسْعَ بكثير عن فرنسا، والتي فرضَتِ الحماية عليهم، قبلها، كما أنَّ فرنسا كان نشاطُها في بلاد الشّام، في هذه المدَّة، محصورًا معَ النَّصارى الكاثوليك، خاصّةً الموارنةَ في لبنانَ.

ثالثًا: الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، ودَوْرُ ألمانيا فيها 1876 – 1914

بعد استكمال ألمانيا وَحْدَتَها عام 1870، أقامت عُلاقاتٍ قويّةً معَ الدّولة العثمانيّة، وخاصّة في عهد السّلطان عبد الحميد الثّاني، وهذا التّقارب شجَّعَ اليهود على طلَبِ الوساطة الألمانيّة للحصول على تنازل عثمانيٍّ عن فِلَسْطينَ لصالح اليهود[80]، كما قدَّموا طلبًا للمستشار الألمانيِّ بسمارك عام 1878، طلبوا فيه إقامةَ دولة يهوديّة في فِلَسطينَ فرَدَّ عليهم المستشارُ بقوله: ((إنَّها فكرة حمقاءُ))[81].

جاء ذلك الرَّدُّ من قِبَلِ المستشار الألمانيِّ كَوْنَ ألمانيا كانت تحاول إقامةَ عُلاقاتٍ اقتصاديّةً وسياسيّةً مع الدّولة العثمانيّة، وأنَّ أيَّ مشروع مثلِ هذا قد يؤدِّي إلى تعكير هذِه العُلاقات، وربمَّا انقطاعها، لعلمِ الأخيرة بأنَّ الدولة العثمانية بزعامة السلطان عبد الحميد الثاني كانت ترفض هكذا مشروع جملةً وتفصيلًا.

ومن الأحداث التي استغلَّها اليهود، من أجل قيام دولتِهم المزعومة، هي زيارة الإمبراطور الألمانيّ غليوم الثّاني[82]، إلى القدس، والتي جاءت بعد المؤتمر الصَّهيونيّ الأوّل الذي أُقيم في سويسرا عام 1897، إذ التقى الوفد اليهوديّ بزعامة ثيودور هرتزل بالإمبراطور الألمانيّ في تشرين الأوّل عام 1898، وطلبوا منه دعمَ قيام الدَّولة اليهوديّة في فِلَسْطين، فكان ردُّ الإمبراطور الألمانيّ غليوم الثّاني بقوله: ((إنَّ جميع الجهود التي تهدُفُ إلى النُّهوض بالزِّراعة في فِلَسْطين؛ لأجل رخاء الدّولة التّركية يُمكنها أنْ تحصل على اهتمامِي وعطفي، مع مراعاة كاملةٍ، واحترامٍ لسيادة السُّلطان))[83].

وبذلك كان ردُّ العاهل الألمانيّ رفضًا مُهذَّبًا لأماني الحركة الصَّهيونيّة في تأسيس دولتها في فِلَسْطين، بمساعدة ألمانيا، وجاء هذا الرَّفض انسجامًا مع العُلاقات التي كانت تنوي ألمانيا استمرارها مع الدّولة العثمانيّة.

رغمَ أنَّ اليهود بقيادة هرتزل، حاولوا إغراء الإمبراطور الألمانيّ بالمساعدات الاقتصاديّة التي يُمكن أنْ تحصل عليها ألمانيا من اليهود، فضلًا عن إعطاء وعْدٍ للإمبراطور بإخراج عناصر الشَّغَبِ من فقراء يهود ألمانيا، وتوطينهم في فِلَسْطين، وإبعادهم عن الأحزاب الثّورية التي تقوم ضدَّ السُّلطة الألمانيّة[84].

لكنْ رغمَ كلِّ ذلك، فإنَّ ألمانيا أعلنت بعد ذلك رفضَها لتأثير اليهود، لأنَّها تخشى إثارةَ شكوك السُّلطان تُجاه الصّداقة الألمانيّة العثمانيّة[85]، واستمرَّ الموقف الألمانيّ في الرَّفض لدعم الحركة الصَّهيونيّة، إذ أصدر سكرتير الدَّولة الألمانيّة في وِزارة الخارجيَّة في 28 كانون الثاني عام 1904م، بيانًا جاء فيه ((أنَّ الصّهيونيّة كما هي الآنَ لا تُثير اهتمام ألمانيا، وأنَّ أيَّة خُطوات مقابلة من جانب الصَّهيونيّة قد تُثير غضَبَ السُّلطان العثمانيّ))[86].

كذلك كانت ألمانيا لا تُريد تعكيرَ عُلاقاتها معَ الدُّول الأوروبيّة؛ بسبب اليهود، لا سيَّما فرنسا وبريطانيا، التي كانت تُعارض المشاريع الألمانيّة في فِلَسْطين، لكنْ رغمَ ذلك، فإنَّ اللُّجنة التَّنفيذية للمؤتمر الصَّهيونيّ في بولندا نقلت مقرَّها في عام 1911م، إلى بِرلينَ[87].

لكن ذلك لا يعني أنَّ الدَّولة الألمانيّة غيَّرت موقفَها الرَّسميَّ من الحركة الصَّهيونيّة، بل ذلك يعود إلى كثرة اليهود في ألمانيا، وأنَّ هنالك أشخاصًا وجمعيّاتٍ كان لها الدَّورُ في دعم الحركة الصَّهيونيّة وأهدافها في فِلَسْطين، حتَّى قيام الحرب العالميّة الأولى عام1914، ومن بينهم بعضُ القناصل الألمان في القدس الشَّريف[88].

يُلحظ أنَّ ألمانيا كان موقفها مغايِرًا لجميع الدُّول الأوروبيّة مع الدَّولة العثمانيّة، ليس فقط في موقفها من اليهود فحَسْبُ، بل بجميع الجوانب السّياسيّة، والاجتماعيّة، وحتّى الاقتصاديّة، وذلك راجعٌ إلى محاولة ألمانيا تغيير أسلوبها، في الاستعمار، عن طريق بناء عُلاقات متينة مع الدَّولة العثمانيّة، وفي جميع الاتِّجاهات، لاسيَّما الاقتصاديُّ منها، لذلك نلحظُ أنَّ الدَّولة العثمانيّة اعتمدت على ألمانيا حتّى في الجوانب العسكريّة، ومن ثَمَّ دخولُها إلى جانبها في الحرب العالميّة الاولى.

رابعًا: الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين، ودَوْرُ روسيا فيها 1876 – 1914

في المدَّة التي بدأ فيها يهود روسيا بالهجرة الجماعيّة إلى الدّولة العثمانيّة، بعد عام 1881، خاصّةً إلى فِلَسْطين؛ للتَّخلُّص من الاضطهاد الرُّوسيّ، قَدَّمَ اليهود الرُّوس طلبًا للحكومة العثمانيّة بالسَّماح لهم بالاستيطان في فِلَسْطين، لكنْ جاء الردُّ العثمانيّ بالسَّماح لهم بالاستقرار، في أيِّ مكان من الدَّولة العثمانيّة، إلّا فِلَسْطينَ، فإنَّ السُّلطان العثمانيُّ عبد الحميد الثّاني لا يسمح بذلك[89].

ورغمَ الهجراتِ اليهوديّة الرُّوسيّة الهائلة إلى فِلَسْطينَ في أثناء المدَّة (1881 1914-) إلّا أنَّ الخدمات التي كانت تُقدِّمُها روسيا وقُنصليّاتها، في القدس وبلاد الشّام، لم تَتَعدَّ الخدمات التي ذكرْناها لِضَعْفِ الدَّوْرِ الرُّوسيّ في هذا الجانب، وما يؤكِّد ذلك أنَّ القنصل البرِيطانيَّ ديكسون (-1890 1906)، أكَّد على أنَّ الحماية البرِيطانية لليهود الروس استمرت حتَّى بعد عام 1893[90].

المبحث الثّالث: موقف الدّولة العثمانيّة من الهجرة اليهوديّة، وأثرها في العُلاقات العثمانيّة - الأوروبيّة 1841-1914

إجراءات الدّولة العثمانيّة للحدِّ من الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ، وأثرها في العلاقات العثمانيّة – الأوروبيّة

منذ بداية القرن التّاسع عَشَرَ، وحتَّى سبعينيّاته، لم تكن هنالك أهمّيّةٌ للهجرة اليهوديّة، كخَطَرٍ استعماريٍّ في فِلَسْطين، إذ إنَّ اليهود لم يستقرُّوا في مِنْطقة واحدة، من الدَّولة العثمانيّة، كذلك فإنَّ الهجرات التي كانت تَصِلُ إلى فِلَسْطين، هجراتٌ فرديّةٌ لم تخشاها السُّلُطات العثمانيّة.

لكنْ بدأ اهتمام الدّولة العثمانيّة يظهر في عهد السُّلطان عبد الحميد الثّاني (1876-1909)، وذلك لزيادة الهجرات اليهوديّة، بشكل كبير إلى فِلَسْطين، أضِفْ إلى ذلك ارتباطَ هؤلاء اليهود بالحركة الصَّهيونيّة المدعومة من الدُّول الأوروبيّة الطّامعة بالدَّولة العثمانيّة[91].

جدير ذكْرُه، وبسببِ تمتُّعِ الأقلّيّات الدّينية، ومن بينهم اليهودُ الذين أصبحوا رعايا لأيَّة دولة أجنبيّة، في داخل الدَّولة العثمانيّة، بحقوق قانون الامتيازات

الأجنبيّة السّاري على الرّعايا الأجانب في الدّولة العثمانيّة، وللتَّخلُّص من الأعداد الهائلة من الأقلّيّات الدِّينيّة التي دخلت تحت رعاية إحدى الدُّول الأوروبيّة، إصدارُ البابُ العالي في 19 حزيران 1869م، قانونًا يمنع تمَتُّع أيِّ مواطن يحمل الجِنْسية العثمانيّة بعد حصوله على جنسيّة أجنبيّة بحقوق الامتيازات الأجنبيّة[92].

ولم يكنْ هذا القانونُ ضدَّ اليهود فقط، بل يشمل جميعَ الأقلّيّات الدّينيّة الأخرى الخاضعة لرعاية الدّول الأوروبيّة، الذين كانوا يحاولون هم، واليهودُ تحت ذريعة الحماية الأوروبيّة، رغمَ من كونِهم مواطنين عثمانيِّين، التَّهرُّبَ من القوانين العثمانيّة، خاصةً في الجانب الضّريبيّ.

وأبدَى السّلطان عبد الحميد الثّاني اهتمامًا كبيرًا بمتصرّفيّة القدس الشَّريف، منذ تولِّيه السّلطة، عام 1876، إذ رفضَ طلبَ حاييم غوديلا لشراء مِساحات من الأراضي في القدس، وذلك في العام نفسه الذي تولَّى به السُّلطان الحكْمَ، لكن لم تتوقَفِ الهجرات الفرديّة المدعومة من الغرب، واستمرَّت بالوصول إلى المتصرّفيّة عن طريق التَّحايُل على القوانين العثمانيّة[93].

لكثرة الجهود والضُّغوطات التي قامتْ بها الدُّول الأوروبيّة لدعم اليهود، وضغطِهم على السُّلطان؛ للموافقة على الاستيطان اليهوديّ، في فِلَسْطينَ عَيَّنَ السّلطان ما بين الأعوام (1876-1888)، (رؤوف باشا) متصرِّفًا على القدس؛ من أجل التَّشديد على منع الهجرة اليهوديّة[94].

بدأت المقاومةُ الجَدّيّة للهجرة اليهوديّة إلى متصرفيّة القدس الشّريف، من قِبَلِ الدّولة العثمانيّة، بعد عام 1881م، وذلك على إثْرِ الهجرة الكبيرة ليهود روسيا إلى فِلَسْطين[95]، إذ صدَرَ في نهاية العام المذكور، قرارٌ عثمانيٌّ للحدِّ من هجرة يهود روسيا إلى فِلَسْطينَ، مُعلنًا بدء اتِّخاذ الإجراءات القانونيّة بحقِّ المهاجرين[96].

وجديرٌ ذكْرُه أنَّ السّلطات العثمانيّة أصدرَتْ قرارًا في نيسان من عام 1882م، تؤكِّد به السَّماح لليهود بالاستقرار في أيَّة مِنْطقة من الدَّولة العثمانيّة، باستثناء متصرّفيّة القدس الشَّريف، بشرط أنْ يُصبحوا رعايا عثمانيِّين، وأنْ يَقْبلوا بِسَرَيان القوانين العثمانيّة عليهم[97].

وطلبت منظَّمة أحِبّاءِ صَهيونَ الرّوسيّة، في عام 1882، من القنصل العثمانيّ في أوديسا في روسيا، منحَ الزّائرين اليهود تأشيرةَ الدّخول إلى القدس، لكنْ لكثرة عددِهم تشاوَرَ معَ الحكومة العثمانيّة، والتي ردَّتْ في 28 نيسان 1882م، برفضِ السَّماح لليهود بالاستقرار في متصرّفيّة القدس لأيِّ سببٍ كان[98].

وأكَّدَ السّلطان عبد الحميد الثّاني، في رسالة بعَثَها إلى متصرِّف القدس في 29 حزيران، عام 1882، يأمره فيها بأنْ يمنَعَ اليهود الذين يحمِلُون الجنسيّات الرُّوسيّة والرُّومانيّة والبُلغاريّة، من الدُّخول إلى فِلَسْطين، لا سيَّما على إثْرِ الهجرة الكبرى التي بدأت، بعد مقتل القيصر الرُّوسيّ[99].

إنَّ تأكيدَ السّلطان على هذه الدّول، راجعٌ إلى احتمالَيْنِ: الأوّلِ بسبب أنَّ أغلَبَ المهاجرين اليهود في تلك المدّة قادميون منها، أمّا السَّبب الآخرُ فإنَّ استثناء بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا راجعٌ إلى خَشْية السّلطان من الضُّغوط التي سوف تمارَسُ عليه من قِبَلِ هذه الدُّول. ويُلحظ من خلال ذلك، أنَّ الدَّولة العثمانيّة بدأت تخشى الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطينَ، والمدعومة من أوروبا لذلك شدَّدت بقراراتها.

ومن إجراءات السّلطان عبد الحميد كذلك، مراقبةُ الحركة الصَّهيونيّة والدَّعم الأوروبيّ لها، إذ أصدرَ أمرًا إلى سُفَراء الدّولة العثمانيّة، في عواصمِ الدُّول الأوروبيّة، بمراقبة الحركة الصَّهيونيّة واجتماعاتها، وإرسال مُخبرين عثمانيِّين سرِّيِّين إليها وإبلاغ الباب العالي بفحوى هذه الاجتماعات، فضلًا عن ذلك إرسالُ قُصاصات الصُّحف والمجلّات الأوروبيّة الدّاعمة للنَّشاط الصَّهيونيِّ إلى الباب العالي، كما أمرَ نِظارة الشُّؤون العَقاريّة بعدم بيعِ أرض للمهاجرين اليهود في القدس الشَّريف[100].

شـدَّدتِ الدَّولـة العثمانيّـة إجراءاتهـا عـلى اليهـود، بتحديـد مـدَّة الزّيـارة بثلاثـين يومًـا فقـط في عـام 1884، وطلبـت مـن الـدُّول الأوروبيّـة أنْ تُسـاعدها في تطبيق هـذا القـرار، لكـن جوبِهَـتْ مسـاعيها بالمعارضـة الشّـديدة، لا سـيَّما مـن قِبَـلِ بريطانيـا، وفرنسـا، والوَلايـات المتّحـدة الأمريكيّـة، الأمـر الـذي اضْطَـرَّ الدّولـة العثمانيّـة إلى تعديـل القـرار، بحيـث لا يشـمل الـدّول الثلاثـة أعـلاه[101]، كذلـك أمَـرَ السُّـلطان في عـام 1887 بربـط القـدس الشَّريـف بـه مبـاشرَةً؛ لِيَتَسَـنَّى لـه معرفـة أمورهـا، مـع التَّشـديد عـلى منـع الهجـرة اليهوديّـة اليهـا[102].

كذلـك أصـدرَتِ الدَّولـة العثمانيّـة، في شـباط عـام 1887م قـرارًا إلى متـصرِّف القـدس، ويافـا بالسَّـماح لليهـود بدخـول البـلاد، كحُجّـاج، أو زوّار فقـط، وعـلى كل يهـوديّ أنْ يدفـعَ مبلـغ (50) لـيرة عثمانيّـة، كرسـوم دخـول مقابـلِ تعهُّـدِه بمغـادرة البـلاد خـلال مـدة 31 يومًـا فقـط، وقـد امتـدَّت بعـد ذلـك المدَّة المسـموح بهـا إلى ثلاثـة أشـهر، ولتنفيـذ هـذا القـرارِ أجـرى متـصرِّف القـدس رؤوف باشـا اتِّصالاتـه مـع قناصـل الـدُّول الأوروبيّـة في آب 1887م؛ لِتَطبيـق هـذا القـرار، لكـن رفَضـوا بِدَوْرِهـم التّعـاون معـه[103].

وبسـبب اسـتياء الـدُّول الأوروبيّـة، خاصّـةً بريطانيـا، وفرنسـا، وروسـيا، ثـمّ تبعَتْهم أمريـكا ضـدَّ السّياسـة التـي اتَّبَعَهـا متـصرِّف القـدس الشَّريـف رؤوف باشـا، ضـدَّ اليهـود في فِلَسْـطينَ، وبتكليـفٍ مـن السُّـلطان لمنـعِ اسـتيطانهم، أُجْـبِرَتِ الدّولـة العثمانيّـة عـام 1888م إلى إقالتـه مـن منصبـه، وتعيـين متـصرِّف أقـلَّ منـه شـدَّة[104].

أصـدرتِ الدّولـة العثمانيّـة ثـلاث فَرَمانـات عـام 1890م، أكَّـدت رفضَهـا الشَّـديد في قبـول الهجـرة اليهوديّـة وطردِهـم مـن فِلَسـطينَ إلى البـلاد التـي جـاءوا منهـا، أو إلى أمريـكا، بكَـوْنِ أنَّ اليهـود يسـعون إلى إنشـاء دولـة يهوديّـة مسـتقلّة، في القـدس، مدعومـةٍ مـن الـدّول الأوروبيّـة وأمريـكا، كـما صـدرت الأوامـرُ إلى مُتـصرِّف القـدس في عـام 1892م، بمنـعِ بيـع الأراضي الأميريّـة إلى اليهـود، حتَّـى لـو كانـوا رعايـا عثمانيِّـين، وتحويلهـا إلى أمـلاك السُّـلطان الخاصّـة[105].

لكنَّ هذه القوانين والفَرَمانات قد رَفَضَتْها الدُّول الأوروبيّة، خاصّة بريطانيا وفرنسا، كذلك دخلَتْ أمريكا على الخطِّ في معارضتِها لهذه القوانينِ، وعَدَّتْها الدّول الأوروبيّة تُخالفُ الامتيازات التي حصلت عليها من الدولة العثمانية وسعت إلى مخالفتها[106].

ساعدتْ عواملُ عدّةٌ اليهودَ، ومن ورائهم الدّول الأوروبيّة، إلى عدم تطبيق القوانينِ العثمانيّة، منها فسادُ الجهاز الإداريّ، في متصرّفيّة القدس الشَّريف، واستعمال اليهود الرِّشوة لدخول المِنْطقة، فضلًا عن تحايُل اليهود للدُّخول، بالاستعانة بالحماية الأجنبيّة، أوِ النُّزول في موانِئَ أخرى، من بلاد الشّام، ثمَّ التَّسلُّل إلى متصرّفيّة القدس، بمساعدة الأثرياء والمؤسَّسات والجمعيّات اليهوديّة، لذلك أصبح عددُ اليهود في تزايد، إذ كان في عام 1882، بحدود (24000) نسمةٍ, ليُصبح في عام 1890 بحدودِ (47000) نسمةٍ, ليَصِلَ في عام 1897 إلى أكثرَ من (50000) ألفِ نسمةٍ[107].

لم تكن سياسة السّلطان عبد الحميد الثّاني، في إعلان الخلافة الإسلاميّة، وتبنِّي مشروع الجامعة الإسلاميّة إلّا من أجل الضَّغط على الدُّول الأوروبيّة التي فيها مسلمون للتَّخفيف من ضغطهم على الدّولة العثمانيّة[108].

وعندما عُقِدَ المؤتمر الصَّهيونيّ الأوّل في بازل عام 1897، وتبلور الهدف الصَّهيونيّ شدَّدت الدّولة العثمانيّة من قيودها على الهجرة اليهوديّة إلى متصرّفيّة القدس الشَّريف، وأصدرتْ قانونًا في نهاية عام 1899، وأرسلت نُسخة منه إلى القدس ويافا لتنفيذه، وأرسلت كذلك نسخةً منه إلى القنصليّات الأجنبيّة عام 1900، وكانت هذه القوانين تحت عنوان (القوانين المتعلِّقة بالزُّوّار العبرانيّين للأراضي المقدَّسة)، إذ ألغت هذه القوانين دفعَ مبلغ (50) ليرة السّابقِ، كرُسوم دخول، وحدَّدت الإقامة بمدَّة 31 يومًا فقط، وسمحتْ لليهود الأجانب بالزّيارة لمدَّة ثلاثة أشهر، لكن عند نزوله في أيِّ ميناء يُسَلِّمُ جواز سَفرِه، ويستلَّم بدلًا عنه بطاقةً حمراءَ، تُذكر فيها مهنتُه، والجنسيّة، وسبب الزّيارة، وإذا رَفَضَ الرَّحيل تُجْبِرُه على المغادرة عن طريق قنصليّة بلده[109].

كذلك حاول هرتزل الضَّغط على الدّولة العثمانيّة عن طريق الضّائقة الماليّة؛ للموافقة على الاستيطان، لكنِ السّلطان عبد الحميد الثّاني رَفَضَ ذلك رغمَ الجهودِ التي بذلَها هرتزل، وبمساندة الدّول الأوروبيّة له، لكنْ جاء الرّدّ بالرَّفض، وعندما قابلَه السُّلطان عبد الحميد في إستانبول في 8 أيّار 1901م، قال له: ((إنَّ بلادنا التي حصَلْنا على كلِّ شِبر منها ببذلِ دماءِ أجدادِنا ... لا يُمكن أنْ نفرِّطَ بشبرٍ منها دون أنْ نبذُلَ أكثرَ ما بذَلْناه من دماء بسيطة ... إنيّ أحبُّ تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين، لكنَّ إقامة دولة يهوديّة، في الأراضي المباركَةِ التي فتحناها، بدماء أجدادنا العِظام، فلا))[110].

رأتِ الدُّول الأوروبيّة أنَّ السّلطان العثمانيَّ لم يقبلِ المقترحات التي قدَّمها هرتزل عام 1901، فكان هذا الموقِفُ يؤثِّر في تطلُّعاتها وأهدافِها، في المِنْطقة، لذلك بدأتْ ترفضُ تطبيقَ القوانين العثمانيّة بصورة علنيّة، لا سيَّما قوانينُ الهجرةِ، وبيعُ الأراضي لليهود، إذ أصدرَتْ بِريطانيا إلى قُنصلِها في القدس، أمرًا في نيسان عام 1904، بأنَّ الحكومة البِريطانيّة لن تقبل بهذه القوانينِ، لكنَّ الدّولة العثمانيّة أصرَّتْ على تطبيقها رغمَ الضُّغوط الأوروبيّة[111].

أصدَرَ الباب العالي في عام 1907م، قانونًا يمنع بيعَ الأراضي الأميريّة في مُتَصرّفيّة القدس الشّريف، حتَّى على اليهود العثمانيِّين، لذلك تعاون اليهود الصَّهاينة والماسونيّة، وجماعةُ الاتِّحاد والتَّرقّي، وقيادة ثورة عام 1908م، ضدَّ السُّلطان عبد الحميد الثّاني، ثمَّ العمل على عزلِه في عام 1909، لكي يَسْهُلَ عليهم الاستيطانُ في القدس الشَّريف بطريقة أفضلَ[112].

وبعد عزْلِ السّلطان عبد الحميد الثّاني عَمِلَ اليهود بالسَّعي في الفترة الأولى معَ رجال الاتِّحاد والتَّرقّي، على رفع قوانين الحظر عن شراء الأراضي، والهجرة إلى فِلَسْطين، واستطاعوا أنْ يُصْدِروا قرارًا بذلك في عام 1911، بطلَبٍ من بريطانيا، وبإيعاز من فرنسا، فوافَقَتِ الدَّولة العثمانيّة على ذلك، لكن جعلَتْ لنفسها حقَّ التَّصرُّف، لأنَّ هذا الأمر من صميم شؤونها الدّاخليّة[113].

لكـنْ رغـمَ ذلـك لم يكـنْ هـذا التَّحـوّل كبـيرًا في السّياسـة العثمانيّـة تُجـاهَ اليهـود، رغـمَ اللقـاءات التـي كانـت متبادَلَـةً بـين زعـماء الاتِّحـاد والتَّرقّـي مـع قيـاداتٍ صّهيونيّـة، في باريـس، وغيرهـا مـن الـدُّول الأوروبيّـة، فإنَّ حمايـة وَحْدَة الأراضي العثمانيّـة، ومركزيّـة الحُكـم، لا يتَّفـق وأهـدافَ قيـام الدّولـة اليهوديّـة في فِلَسْـطين[114].

لكـنَّ التَّسـهيلات التـي حصـل عليهـا اليهـود، هـي إلغـاء البِطاقـة الحمـراء؛ مـا سـهَّلَ سـفرَهم إلى فِلَسْـطين بسـهولة، وكان للضُّغـوط البرِيطانيّـة عـلى حكومـة الاتِّحـاد والتَّرقّـي أدَّى إلى إصـدار قانـون (تـصرُّف الأشـخاص الحكميـة)، والـذي أعطـى الحـقَّ للشَّركات التملُّـك والتَّـصرُّف في الممتلـكات غـير المنقولـة، مـا مَنَـحَ الأجانـب حـقَّ التَّـصرُّف والتّملُّـك في الأراضي، كالعثمانيِّين في الدَّولـة العثمانيّـة، فضـلًا عـن ذلـك، صـدورُ قانـون نَـزْعِ الملكيّـة العثـمانيّ الصّـادر عـام 1914، والـذي أعطـى الحرّيّـة في انتقـال الأراضي إلى اليهـود بشـكل كبـيرٍ[115].

وأصـدرتْ حكومـة الاتِّحـاد والتَّرقّـي قانونًـا يقـضي ببيـع جميـع الأراضي التـي كانـت مـن أمـلاك السّـلطان عبـد الحميـد، الخاصّـة في المـزاد العلنـيّ، لكـنَّ انـدلاع الحـرب العالميـة الأولى، في عـام 1914 حـال دون تنفيـذ هـذا الأمـر[116].

يتَّضـح مـن كلِّ ذلـك أنَّ الحركـة الصَّهيونيّـة لم تكـن لِتحقِّـقَ أهدافهـا في فِلَسـطينَ لـولا الدَّعـم الأوروبيّ، وخاصّـةً بريطانيـا التـي سـهَّلت لهـا هـذا الأمـر، وأنَّ الدّولـة العثمانيّـة، ورَغْـمَ الإجـراءات التـي بذلَتْهـا؛ لتفـادي الاسـتيطان اليهـوديّ في فلسـطينَ، وخاصَّـة في عهـد السّـلطان عبـد الحميـد الثّـاني لم تكُـنْ لتسـتطيعَ إيقافهـا؛ كونَهـا أصبحـت دولـة ضعيفـةً يُطلـق عليهـا (الرّجـل المريـض)، كذلـك أنَّ أوضاعهـا السياسـيّةّ الشّـائكة، ومشـكلاتها في الدّاخـل الأوروبيّ، ووضعَهـا الاقتصـادي المُـتردِّي، وتخلُّفَهـا الصّناعـيّ، كلُّ ذلـك أسـهمَ في عـدم قُدرتهـا للتَّصـدِّي للمخطَّطـات الصّهيونيّـة المدعومـة مـن قِبَـلِ الـدُّول الأوروبيّـة.

الخاتمة:

توصَّلتِ الدّراسة إلى عديدٍ من النّتائج المُهمّة، في سياق عَرْضها، وهي كما يأتي:

لم تكنِ الهجرة اليهوديّة إلى القدس الشّريف، حتَّى في بدايات القرن التّاسع عَشْرَ غيرَ مخطَّط لها رغْمَ أنَّها كانت هجراتٍ فرديّةً وعشوائيّةً، لكنَّها كانت مدفوعة من قِبَلِ الصَّهيونيّة، وبدعم من الدّول الأوروبيّة.

كانت بريطانيا من أكثرِ الدّول الأوروبيّة إسهامًا في دعم الهجرة اليهوديّة، ومساعدة في تنفيذ هذا المخطَّط، وما يؤكِّدُ ذلك فرضُ حمايتها على اليهود في بلاد الشام منذ عام 1838.

لم تكن فرنسا غافلةً عن اليهود، لكن أوضاعها السّياسيّة في أوروبا جَعَلَ منها أقلَّ دعمًا من بريطانيا، كذلك وقوفها معَ النَّصارى الموارنة في لبنان، تركَ المجال لبريطانيا لفرضِ حمايتها على اليهود.

روسيا، وبقيّة الدّول الأوروبيّة كان دعمُها أقلَّ؛ وذلك لسيطرة النُّفوذ البرِيطانيّ والفرنسيّ على بلاد الشام، لكن هذا لا يعني عدمَ تأييدهم للهجرة اليهوديّة، وإلّا كيف تأتي أعداد كبيرةٌ من المهاجرين اليهود من روسيا، إذا لم يكن بموافقة روسيا، رغمَ تبويب هذِه الهجرة تحت ذريعة الاضطهاد الرّوسيّ لهم.

كان الدَّعم الألمانيّ أقلَّ من بقيّة الدُّول الأوروبيّة؛ بسبب عُلاقاتها السّياسيّة الجيِّدة معَ الدَّولة العثمانيّة، لذلك كان دعمها للهجرة عن طريق الجمعيّات والمنظَّمات اليهوديّة الألمانيّة.

أنَّ الدّولـة العثمانيّـة رَغْـمَ إصدارِهـا عديـدًا مـن القوانـين؛ لمنـع الهجـرة اليهوديّة، إلّا أنَّهـا لم تسـتطع، وذلـك بسـبب الضّغـط الأوروبيّ، وضَعْـفِ الجهـاز الإداريّ في بـلاد الشّـام، ومتصرِّفيّـة القـدس، والّـذي سَـمَحَ بتدفُّـق المهاجريـن اليهـود إلى فِلَسْـطين.

الهوامش

1. يوسف نعيسة، يهود دمشق، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1988، ص 6.

2. إلهام جبر شماليّ، النّشاط الاستيطاني اليهوديّ في فِلَسْطين قبل عام 1901، مجلّة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتّربية، جامعة عين شمس، ع19، ج5، 2018، ص438.

3. فايز صايغ، الاستعمار الصهيوني في فلسطين، مركز الأبحاث منظَّمة التَّحرير الفِلَسْطينيّة، بيروت، د.ت، ص7.

4. علي أحمد عباس محمد، السلطان عبد الحميد الثاني الفترة 1293-1326هـ = 1876-1909م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية التربية، السودان، 2017، ص240.

5. ثورة البيروتان: وهي ثورة دينية إصلاحيّة حدثت في إنكلترا في عهد الملكة اليزابيت الأولى(1533-1603), إذ طالبَ هؤلاء بتطهير الكنيسة الانكليزية من كل ما تحمل من آثار الكنيسة الكاثوليكية. للمزيد من التفاصيل ينظر: مشعل مفرح ظاهر وماريا حسن مغتاظ، حركة البيورتان الإصلاحية في إنكلترا خلال عهد الملكة اليزابيت 1533-1603، مجلّة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية،كلية الآداب وجامعة واسط،ع25،2017، ص435-446.

6. Hyamson Al bertm, Palestine Under Mandate 1920-1948) London : Greenwood Press , 1976) , p.1 . 2-

7. يوسف حسين عمر، سياسة بريطانيا اتِّجاه الدولة العثمانية 1839-1909، ط2، دار نور للنشر، سابروكن، المانيا، 2016، ص405.

8. عزّ الدّين فودة، الصّراع الدّولي حول فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى صدور وعد بلفور، مجلَّة البحوث والدراسات العربية، معهد البحوث والدراسات العربيّة، المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، ع1، 1969، ص 74-75.

9. عماد أحمد الجواهريّ، حول الموقف العثمانيّ من الأطماع الصّهيونية الاستيطانية في فلسطين 1876 – 1908، مجلّة آداب الموصل، كلية الآداب، جامعة الموصل، ع9، 1978، 74-75.

10. بديعة أمين، المشكلة اليهودية والحركة الصَّهيونية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 149-150.

11. علي أكرم فضل مهاني، العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين 1918 – 1936، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2010، ص 3.

12. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، الاستراتيجية الصهيونية تُجاه مدينة القدس(1897-1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2012، ص74.

13. موسى مونتفيوري : زعيم الجالية اليهودية في بريطانيا في القرن التاسع عشر، ولد في 1784 في إيطاليا، عمل في مجال التجارة،انتقل إلى بريطانيا وتقلد بعض المناصب الرسمية فيها منها محافظ لندن، يعد احد المشجعين والمُسهمين في استيطان اليهود في فلسطين، مات عام 1885م. علّي أكرم فضل مهاني، المصدر السابق، ص3.

14. هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية، وأثرها في البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648 إلى نهاية القرن العشرين، ج1، دار القلم، دمشق، 2002، ص227.

15. إلهام جبر شمالي، المصدر السابق، ص447.

16. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص 76.

17. صندوق اكتشاف فلسطين : أُسِّسَ في 12 مايو (أيار) من عام 1865 في قاعة القدس في مدينة وستمنستر في بريطانيا برئاسة كبير أساقفة يورك وليام توماس وقد حضر حفل الافتتاح عدد كبير من علماء الآثار والحفريات والمسح الجغرافي من أوروبيِّين وامريكان فضلًا عن رجال دين نصارى وأعضاء برلمان، وقد ضمَّ الصندوق في عضويته أكثر من مائة وثمان أعضاءٍ معظمهم يعملون في مناصب رسمية، ومن ضمن هذه الأسماء موسى مونتفيوري والقنصل البريطاني الثالث في القدس تميل مور والجنرال تشارلز وارن، كان الهدف المعلن من تشكيل الصندوق التنقيب والكشف عن الآثار في فلسطين.للتفاصيل ينظر: Frederick Jones Bliss , the develop Palestine Exploration , C.Scribners Sons , New York , 1966 , p.255 نقلًا عن: مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص75؛ امين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص30.

18. بديعة أمين، المصدر السابق، ص151.

19. أسعد عبد الرحمن ونواف الزور، الغزو الصهيونيّ وحلقات الصراع السياسي الإجلائي

الدّيموغـرافيّ في فلسـطين 1882-1990، دار اللوتـس، د.م، د.ت، ص6.

20. نائلـة الوعـري، دور القنصليـات الأجنبيـة في الهجـرة والاسـتيطان اليهـودي في فلسـطين 1840-1914، دار الـشروق، رام اللـه، 2007، ص 146.

21. إلهام جبر سالم شمالي، المصدر السابق، ص446.

22. نائلة الوعري، المصدر السابق، ص147.

23. بنيامـين دزرائيـلي: ولـد في 12كانـون الاول1804م، ينحـدر مـن عائلـة ثريـة مـن اليهـود السـفارديم مـن البندقيـة، اعتنـق النصرانيـة عـام1817م، في عـام 1831م دخـل الحيـاة السياسـية، وأصبـح عـام 1837م عضـوًا في مجلـس العمـوم البريطـاني عـن حـزب المحافظـين، عُـيِّنَ عـام 1852م وزيـرً اللماليـة، زار دزرائيـلي مِنْطقـة الـشرق الأوسـط وفلسـطين في مطلـع شـبابه؛ مـا تَـرَكَ أثـرًا كبـيرًا في مواقفـه السياسـية وأطماعـه الاسـتعمارية، أصبـح رئيسًـا لـوزراء بريطانيـا في شـباط 1868م إلى كانـون الأوّل 1868م، ثـمَّ عـاد ليـترأَّس الـوزارة مـرَّة أخـرى للمـدة (1874-1880م)، تـوفي في لنـدن في عـام 1881م.لمزيـد مـن التفاصيـل ينظـر:

.320-Encyclopedia Britannica,London,1957,vol,3,p.316

24. هدى درويش، المصدر السابق ،ج1، ص230.

25. نـوار حسـين مصطفـى الجبـوري، النَّشـاط القنصـلّي الفرنـسّي في القـدس الشريـف (1840-1900)، دار الحامـد للنـشر والتوزيـع، عـمان، 2015، ص139.

26. محمـد عبـد الهـادي العليـوي، الهجـرات الخارجيـة مـن وإلى سـورية في العهـد العثـمانيّ 1831-1916، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليّـة الآداب والعلـوم الإنسـانيّة، جامعـة دمشـق، د.ت، ص122.

27. الأرشـيف العثـمانيّ بإسـتانبول، رقـم البحـث (568)، دفـتر مهمّـة (207)، الصـادر في 1213هــ / 1798م، ص98-99؛ الأرشـيف العثـماني بإسـتانبول، رقـم البحـث (569)، دفـتر مهمّـة (207)، الصـادر في 1216هــ / 1801م، ص165-167.

28. نوار حسين مصطفى الجبوري، المصدر السابق، ص139-143.

29. للاطِّـلاع عـلى المزيـد مـن الأشـخاص والاتِّحـادات والجمعيـات ينظـر: نـوار حسـين مصطفـى الجبـوري، المصـدر السـابق، ص144-150.

30. آرنسـت لاهـاران: صهيـونيّ غـير يهـوديّ، كان محـرِّرًا لصحيفـة جمهوريـة النّزعـة الفرنسـيّة

التـي أيَّدت فكـرة التِّجـارة الحـرّة،و انتعشـت الصهيونيـة غـير اليهوديّـة أيّـام الإمبراطـور الفرنـسيّ نابليـون الثّالـث، ويُعَـدُّ أنموذجًـا للفكـر الاسـتعماري، ومؤيِّـدًا تكويـنَ دولـة يهوديـة في فِلَسْـطين تحـت رعايـة فرنسـا. ينظـر: عبـد الوهـاب المسـيري، موسـوعة اليهـود واليهوديّـة والصهيونيـة، دار الـشروق، القاهـرة، 1991،ج6، ص 160

31. أحمـد نـوري النعيمـي، أثـر الأقلّيّـة اليهوديـة في سياسـة الدولـة العثمانيـة تُجـاه فلسـطين، مركـز الدراسـات الفلسـطينية، بغـداد، 1982، ص48.

32. للمزيـد مـن التفاصيـل عـن صفقـات شراء الأراضي ينظـر : سـجلات محكمـة القـدس الشّرعيّـة، سـجلّ رقـم 384، الصـادر بتاريـخ 1309-1315 هــ / 1891-1898 م، ص2، التـي سـوف نشـير إليهـا بــ، س.م.ق.ش؛ س.م.ق.ش، سـجل رقـم 388، الصادر بتاريخ 1316-1314هــ / 1895-1896، ص56، س.م.ق.ش، سـجلّ رقـم 411، الصـادر بتاريخ 1330-1337 هــ / 1912-1918، ص164

33. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص81.

34. الاتِّحـاد الإسرائيـلّي العالمـيّ: هـو منظمـة يهوديـة دوليـة مقرهـا في باريـس، تأسسـت عـام 1860 مـن قبـل السـياسيّ الفرنـسيّ اليهـوديّ (أدولـف كريميـه – AdolpheCremiux) لحمايـة حقـوق اليهـود حـول العـالم، تدعـم المنظمـة مبـادئ دفـاع اليهـود عـن النفـس واكتفائهـم الـذاتي خـلال التعليـم والتطويـر المهنـي، ويشـتهر هـذا الاتحـاد بتأسـيس عـدة مـدارس باللغـة الفرنسـية للأطفـال اليهـود حـول حـوض البحـر المتوسـط في القرنـين التاسـع عـشر والعشريـن . فـدوى نصـيرات، دور السـلطان عبـد الحميـد الثـاني في السَّـيطرة الصَّهيونيّـة عـلى فلسـطين، ط2، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بـيروت،2019، ص 122

35. محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص123.

36. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص162.

37. للتَّفاصيـل حـول الأشـخاص والجمعيّـات الألمانيّـة التـي كان لهـا دَوْرٌ في فِلَسْـطين ينظـر: سـهام محمـد هنـداوي، التّطـوُّر التّاريخـيّ للعُلاقـات الألمانيّـة العثمانيّـة وثائـق سرّيّـة مـا بـين (1293 – 1327هــ / 1876-1909 م)، دار نينـوى للدِّراسـات والنَّـشر والتَّوزيـع، دمشـق، 2015، ص -175 ومـا تلاهـا.

38. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص79.

39. November.1861.20.190/F.O: 232. نقلاً عن : نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص 164.

40. للاطِّلاع على المستعمرات الألمانيّة في فِلَسْطينَ ينظر: علّي محافظة، المستعمرات الألمانيّة في فِلَسْطين، وقائع النَّدوة العلميّة الأولى للآثار الفِلَسْطينيّة، جامعة حلب، حلب، 1984، ص 170-175؛ سهام محمد هنداوي، المصدر السابق، ص177-195.

41. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص167؛ محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص124.

42. للاطِّلاع على معظم الحروب الَّتي حدثت بين الطرفين ينظر: هاشم صالح التّكريتي، المسألة الشرقيّة، بغداد، 1999، ص23، وما تلاها.

43. مروان عبد الرَّحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص83؛ أحمد نوري النُّعيميّ، المصدر السابق، ص80.

44. نائلة الوعريّ، المصدر السّابق، ص 158-159.

45. المصدر نفسه، ص 125-126.

46. المصدر نفسه، ص 176-177.

47. أحمد نوري النُّعيميّ، المصدر السابق، ص79-80.

48. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص 177.

49. حسان علّي حلّاق، دَوْرُ اليهود والقوى الدّوليّة في خلع السُّلطان عبد الحميد الثّاني عن العرش (1908-1909)، الدّار الجامعيّة، بيروت، د.ت، ص7-8.

50. لورانس أوليفانت : ولد في عام 1829، عمل في السِّلْك الدّبلوماسّي البرِيطاني في الشّؤون الهنديّة، وفي عام 1860 أصبح نائبًا في مجلس العموم، دعا بريطانيا لتأسيس مشروع توطين اليهود في فِلَسْطين، من خلال إنشاء شركة استيطانيّة برعاية بريطانيا على أنْ يكون مركزها إستانبول، عمل على تهجير اليهود إلى فِلَسْطينَ، ألَّفَ كتابًا باسْم (حيفا أو الحياة في فلسطين)، وينطلق من فكرة الشَّعب العضويّ المتجدِّد، وحسب رأيه هم جنس مستقل يتَّسم أعضائه بالذّكاء في الأعمال التّجارية وبالمقدرة على جمع المال، ولكن جهودهم داخل أوروبا سلبيّة لأنَّ جذورهم في القدس، قَدِمَ إلى فلسطين، إذ توفي فيها عام 1888. للمزيد ينظر: نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص186.

51. هدى درويش، المصدر السابق ج1، ص231.

52. غانم سمية، السياسة العثمانية في بلاد الشام 1876-1916، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية – قطب شتمة، جامعة محمد خضير- بسكرة، الجزائر،2015، ص 40.

53. علي أحمد عباس محمد، المصدر السابق، ص 241.

54. إلهام جبر سالم شمالي، المصدر السابق، ص 447-448.

55. هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص232.

56. أسعد عبد الرحمن ونواف الزّور، المصدر السابق، ص6؛ الهام جبر سالم شمالي، المصدر السابق، ص448.

57. للاطِّلاع على تفاصيل أكثر عن طريق هذه الهجرات، وعددها ينظر: ربا جمال سلمان الزّهّار، تطور الاقتصاد الصَّهيوني في فِلَسْطين (1882-1948)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2011، ص12-19.

58. عزّ الدين فوده، المصدر السابق، ص100؛ علّي أكرم فضل مهاني، المصدر السابق، ص4.

59. طه خلف محمد خلف الجبوري، بريطانيا وبلاد الشام دراسة اقتصادية سياسية 1860-1876، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت، 2013، ص164.

60. علي أحمد عباس محمد، المصدر السابق، ص243.

61. هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص232.

62. علي أحمد عباس محمد، المصدر السابق، ص243.

63. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص109.

64. هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص234.

65. أحمد نوري النعيمي، المصدر السابق، ص71-72.

66. نجم عبد الأمير الأنباريّ، عبد الحميد الثّاني والاستيطان الصَّهيونيّ في الولايات العربية من مشرق الوطن العربيّ مناطق الاختيار الاستيطان فِلَسْطين والعراق، مجلَّة التُّراث العلميّ العربيّ، ع1، بغداد،2014، ص225.

67. ثيودور هيرتزل: زعيم الحركة الصَّهيونيّة، ومؤسِّس الصَّهيونيّة السياسيّة، ولد في المجر عام 1860، وانتقل مع عائلته للعيش في فينا عام 1878، وتزعم الحركة الصَّهيونية، وعقد المؤتمر الصَّهيونيّ الأوّل في بازل عام 1897، توفي في عام 1904. ينظر: يونس عبد الحميد يونس أبو جواد، التيارات اليهودية الوافدة للصهيونية (1897-1948) رسالة ماجستير غير

منشـورة كليـة الآداب، الجامعـة الإسـلامية بغـزة، فلسـطين، 2013، ص3.

68. علي أحمد عباس محمد، المصدر السابق، ص245.

69. للتعـرف عـلى فقـرات المؤتمـر والمؤتمـرات الأخـرى ينظـر : هـدى درويـش، المصدر السـابق،ج1، ص328-340.

70. يوسـف حسـين يوسـف عمـر، أسـباب خلـع السُّـلطان عبـد الحميـد الثـاني 1876-1909، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كليـة الآداب، جامعـة اليرمـوك، الأردن، 2000، ص144.

71. حول هذه المشاريع ينظر : علي أكرم فضل مهاني، المصدر السابق، ص5-8.

72. آرثـر جيمـس بلفـور: ولـد في عـام 1848، أصبـح عضـو حـزب المحافظـين 1874 – 1922، والسِّـكرتير الخـاصّ للـورد سـالزبوري 1878-1880، ورئيـس المحكمـة المحلّيّـة 1885 – 1886، وزيـر إسـكتلندا 1886-1887، ورئيـس مجلـس العمـوم 1902-1906 ووزيـر الخارجيّـة في حكومـة لويـد جـورج 1916-1919، ورئيـس اللـوردات في حكومـة لويـد جـورج 1919-1922 وفي حكومـة بلودين 1925-1929، مـات في عـام 1930. ينظـر: يوسـف حسـين يوسـف عمـر، أسـباب خلـع السُّـلطان عبـد الحميـد ....، ص141.

73. عـلّي أكـرم فضـل مهـاني، المصـدر السـابق، ص9؛ يوسـف حسـين يوسـف عمـر، أسـباب خلـع السـلطان عبـد الحميـد، ص141.

74. يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد ....، ص146.

75. هيثـم يـاسر عيسى، التغـيرات والتسـهيلات التـي حصـل عليهـا اليهـود في فلسـطين في عهـد الاتِّحاديِّـين 1909 1914-، مجلَّـة بحـوث الـشرق الأوسـط، ع44، القاهـرة، ص 297 298-.

76. نوار حسين مصطفى الجبوري، المصدر السابق، ص153.

77. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص150.

78. للمزيـد مـن التفاصيـل عـن تدخـلات القناصـل لصالـح رعاياهـم اليهـود ينظـر: سـجلات بلديـة نابلـس، سـجل رقـم 19، الصـادر في 1291هـ/ 1874، ص30، سـجِلّات بلديـة نابلـس، سـجلّ رقـم 21، الصـادر في 1294 هـ / 1877، ص26؛ سـجل محكمـة يافـا الشرعيـة، سـجل رقـم (111) الصادر بتاريـخ 1326-1327 هـ / 1908-1909، ص163.

79. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص82.

80. محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص124.

81. سهام محمد هنداوي، المصدر السابق، ص188.

82. غليوم الثاني: ولد في عام 1859م، وهو ابن الإمبراطور فردريك الثالث الذي تسلَّم العرش لمدَّة ثلاثة أشهر فقط، وأمُّه البنت الكبرى للملكة فكتوريا ملكة بريطانيا، تلقى تعليمًا عسكريًّا دقيقًا، عمل على اتِّخاذ سياسة جديدة سمِّيت بالنهج الجديد، والتي يؤكِّد فيها حقَّ ألمانيا في زعامة العالم، أصبح إمبراطورًا لألمانيا في عام 1888م، وفي عام 1897م أدخل ألمانيا في السّياسة العالميّة، ثمَّ بناء القوة البحريّة، ومنذ تَسَنُّمُه عرشَ الإمبراطورية كان على خلاف مع بسمارك، انتهى حكمه في عام 1918م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الآن بالمر، موسوعة التّاريخ الحديث 1789-1945م، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، دار المأمون، بغداد،1992م، ج1، ص393-394؛ هـ.أ.ل.فشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950م، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط 9، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص397-398؛ بلانتاجيت سومرسيت فراي، 1000 شخصيّة عظيمة، ترجمة : مازن طليمات، ط3، دارطلاس، دمشق،1999م، ص354.

83. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص 170-171.

84. محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص124.

85. هدى درويش، المصدر السابق، ج1، ص327-328.

86. أحمد نوري النُّعيمي، المصدر السابق، ص127.

87. محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص124.

88. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص174-175.

89. هدى درويش، المصدر السّابق، ج1، ص247-248.

90. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص77.

91. محمد عبد الهادي العليوي، المصدر السابق، ص147.

92. يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد ...، ص139.

93. علّي أحمد عباس محمد، المصدر السابق، ص240-241.

94. غانم سمية، المصدر السابق، ص40.

95. سهام محمد هنداوي، المصدر السابق، ص199.

96. N. Mandel, Turk, Arab and Jewish Immigration in to Palestine (1881-1914),

.Middle Eastern Affair , No . 4,1960

97. نائلة الوعريّ، المصدر السابق، ص192-193.

98. يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد ....، ص140.

99. محمود عبد الواحد محمود ومواهب عدنان أحمد، موقف السُّلطان عبد الحميد الثّاني من الحركة الصَّهيونية ثوابت مبدئية في عصر ضعف مؤسَّسات الدّولة العثمانيّة، مجلَّة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلَّد 18، العدد 8، أيلول 2018، ص175.

100. هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص369.

101. نيفيل ماندل، موقف العرب والأتراك من الهجرة اليهوديّة إلى فِلَسْطين (1882-1914)، ترجمة: مكّي مؤمن، مجلَّة مركز الدِّراسات الفِلَسْطينية، العدد 28، بغداد، 1978، ص75.

102. محمود عبد الواحد محمود ومواهب عدنان، المصدر السابق، ص175.

103. هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص370؛ نوار حسين مصطفى الجبوري، المصدر السابق، ص155.

104. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص115.

105. يوسف حسين يوسف عمر، أسباب خلع السلطان عبد الحميد ....، ص140-141.

106. إلهام جبر سالم شمالي، المصدر السابق، ص442.

107. نوار حسين مصطفى الجبوري، المصدر السابق، ص156-157؛ الهام جبر سالم شمالي، المصدر السابق، ص442.

108. للمزيد من التفاصيل حول برنامج الخلافة والجامعة الإسلامية ينظر : محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت،2013، ص 482 490-.

109. نائلة الوعري، المصدر السابق، ص202.

110. للمزيد عن مواقف السلطان عبد الحميد تجاه الحركة الصهيونية ينظر: حسان علي حلاق، المصدر السابق، ص31-32.

111. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص121.

112. محمود عبد الواحد محمود ومواهب عدنان، المصدر السابق، ص180-186.

113. ابتسام أبو ميزر، سنتان مفصليتان في حكم الإمبراطورية العثمانية(1908-1909)، رسالة

ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة بير زيت، فلسطين،2017، ص122-123؛ هدى درويش، المصدر السابق،ج1، ص394.

114. مروان عبد الرحمن حسين أبو شمالة، المصدر السابق، ص123.

115. هيثم ياسر عيسى، المصدر السابق، ص297.

116. ابتسام أبو ميزر، المصدر السابق، ص124.

Reference:

1- Ibtisam Abu Mazer, Two Decisive Years in the Ruling of the Ottoman Empire (1908-1909), unpublished MA Thesis, Faculty of Graduate Studies, Birzeit University, Palestine, 2017.

2- Ahmad Nouri Al-Nuaimi, The Impact of the Jewish Minority on the Policy of the Ottoman State towards Palestine, Center for Palestinian Studies, Baghdad, 1982.

3- The Ottoman Archive in Istanbul, Research No. (568), Mission Book (207), issued in 1213 AH / 1798 AD.

4- The Ottoman Archive in Istanbul, Research No. (569), Mission Book (207), issued in 1216 AH / 1801 AD.

5- AsaadAbd al-Rahman and Nawaf al-Zour, The Zionist Invasion and Evacuation-Demographic Political Struggles in Palestine 1882-1990, Dar al-Lotus.

6- ElhamJabrShamali, Jewish settlement activity in Palestine before 1901, Journal of Scientific Research in Literature, Girls' College of Arts, Sciences and Education, Ain Shams University, vol. 19, c5, 2018.

7- Now Palmer, Encyclopedia of Modern History 1789-1945 CE, translated by: SawsanFaysal Al-Samer and Yusuf Muhammad Amin, Dar Al-Mamoun, Baghdad,1992,Part 1.

8- Amin Abdullah Mahmoud, Jewish settlement projects from the start of the French Revolution until the end of the First World War, The World of Knowledge, Kuwait, 1978.

9- Badi'a Amin, The Jewish Problem and the Zionist Movement, Tale'a House for Printing and Publishing, Beirut.

10- Plantagenet Somerset Fry, 1000 Great Personalities, translated by: MazenTulaimat, 3rd Edition, Dartlas, Damascus, 1999.

11- Hassan Ali Hallaq, The Role of the Jews and International Forces in the Deposition of Sultan Abdul Hamid II from the Throne (1908-1909), University House, Beirut.

12- Ruba Jamal Salman Al-Zahhar, The Development of the Zionist Economy in Palestine (1882-1948), an unpublished MA Thesis, Faculty of Arts, Islamic University, Gaza, Palestine, 2011.

13- Records of the Jerusalem Sharia Court, Record No. 384, issued on 1309-1315 AH / 1891-1898 AD.

14- Records of the Sharia Court of Jerusalem, Record No. 388, issued on 1316-1314 AH / 1895-1896AD.

15- Records of the Sharia Court of Jerusalem, Record No. 411, issued on 1330-1337 AH / 1912-1918AD.

16- Nablus Municipality Records, Record No. 19, issued in 1291 AH / 1874.

17- Nablus Municipality Records, Record No. 21, issued in 1294 AH / 1877.

18- Jaffa Sharia Court Records, Record No. 111, issued in 1326-1327 AH / 1908-1909.

19- Siham Muhammad Hindawi, The Historical Development of Ottoman German Relations, Secret Documents between (1293 - 1327 AH / 1876-1909 AD), Nineveh House for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, 2015.

20- TahaKhalaf Muhammad Khalaf al-Jubouri, Britain and the Levant, a political economic study 1860-1876, unpublished doctoral thesis, College of Education, University of Tikrit, 2013.

21- Abdel Wahab Al-Messiri, Encyclopedia of Jews, Judaism and Zionism, Dar Al-

Shorouk, Cairo, 1991, Part 6.

22- Ezz El-Din Fouda, The International Conflict over Palestine in the Second Half of the Nineteenth Century until the issuance of the Balfour Declaration, Journal of Arab Research and Studies, Institute for Arab Research and Studies, Arab Education, Culture and Science Institute, Beirut, 1960, vol.1.

23- Ali Ahmed Abbas Muhammad, Sultan Abdul Hamid II, the period 1293-1326 AH = 1876-1909 AD, unpublished doctoral thesis, Omdurman Islamic University, College of Education, Sudan, 2017.

24- Ali AkramFadlMahani, British Zionist Relations in Palestine 1918-1936, unpublished MA thesis, Faculty of Arts, Islamic University of Gaza, Palestine, 2010.

25- Ali Muhafaza, German Colonies in Palestine, Proceedings of the First Scientific Symposium on Palestinian Archeology, University of Aleppo, Aleppo, 1984.

26- Imad Ahmad Al-Jawahiri, On the Ottoman Position Toward Zionist Settlement Ambitions in Palestine 1876-1908, Mosul Literature Journal, College of Arts, University of Mosul, Vol. 9, 1978.

27- GhanemSumaya, Ottoman Politics in the Levant 1876-1916, Unpublished Master Thesis, Faculty of Humanities and Social Sciences - QutbShtma, University of Muhammad Khudair - Biskra, Algeria, 2015.

28- Fayez Sayegh, Zionist Colonialism in Palestine, Palestine Liberation Organization Research Center, Beirut.

29- FadwaNuseirat, The Role of Sultan Abdul Hamid II in the Zionist Control of Palestine, 2nd Edition, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 2019.

30- Muhammad SuhailTakkoush, History of the Ottomans from the Establishment of the State to the Coup against the Caliphate, 3rd Edition, Dar Al-Nafaes, Beirut, 2013.

31- Muhammad Abd al-Hadi al-Aliwi, Foreign Migrations to and from Syria during

the Ottoman Era 1831-1916, Unpublished Master Thesis, Faculty of Literature and Human Sciences, University of Damascus.

32- Mahmoud Abdul Wahid Mahmoud and the Talents of Adnan Ahmed, Sultan Abdul Hamid II's position on the Zionist movement, principled constants in the era of the weakness of the institutions of the Ottoman state, Tikrit University Journal for Human Sciences, Volume 18, Issue 8, September, 2018.

33- Marwan Abd al-Rahman Hussein Abu Shamala, The Zionist Strategy Toward the City of Jerusalem (1897-1948), Unpublished Master Thesis, Faculty of Arts, Islamic University of Gaza, Palestine, 2012.

34- MishaalMufrehZahir and Maria Hassan Moghtaz, Puritan Reform Movement in England during the Reign of Queen Elizabeth 1533-1603, Lark Journal of Philosophy, Linguistics and Social Sciences, Faculty of Arts, Wasit University, Issue 25, 2017.

35- Naela Al-Wa'ari, The Role of Consulates in Immigration and Jewish Settlement in Palestine 1840-1914, Dar Al-Shorouk, Ramallah, 2007.

36- NajmAbd al-Amir al-Anbari, Abd al-Hamid II and the Zionist settlement in the Arab states from the brightness of the Arab world, the areas of choice for settlement Palestine and Iraq, Arab Scientific Heritage Magazine, vol.1, 2014.

37- NawarHussain Mustafa al-Jubouri, French consular activity in Al-Quds Al-Sharif (1840-1900), Al-Hamid House for Publishing and Distribution, Amman, 2015.

38- - Neville Mandel, The Position of the Turkish Arabs on the Jewish Immigration to Palestine (1882-1914), translated by: MakkiMoamen, Journal of Palestinian Studies, Issue 28, Baghdad, 1978.

39- Hashem Saleh Al-Tikriti, The Eastern Question, Baghdad, 1999 AD.

40- H.A.L. Fasher, History of Europe in the Modern Era 1789-1950 A.D., Arabization: Ahmed NaguibHashem and Wadia El-Dabaa, 9 ed., Dar Al Maarif, Cairo.

41- HodaDarwish, Turkish-Jewish Relations and Their Impact on the Arab Countries

From the Vocation of the Jews of the Donma in 1648 to the End of the Twentieth Century, Part 1, Dar Al-Qalam, Damascus, 2002.

42- Haytham Yasser Issa, Changes and Facilities Received by the Jews in Palestine during the Unionist Era 1909-1914, Journal of Middle East Research, No. 44, Dr. M.

43- Yusef Hussein Omar, British Policy Toward the Ottoman Empire 1839-1909, 2nd Edition, Noor Publishing House, Sabroken, Germany, 2016.

44- Yusef Hussein Yusef Omar, Reasons for the Deposition of Sultan Abdul Hamid II 1876-1909, Unpublished Master Thesis, Faculty of Arts, Yarmouk University, Jordan, 2000.

45- Youssef Na`issa, The Jews of Damascus, 1st Edition, House of Knowledge, Damascus, 1988.

46- YunusAbd al-Hamid Yunis Abu Jawad, Jewish currents coming to Zionism (1897-1948), unpublished master's thesis, Faculty of Arts, Islamic University of Gaza, Palestine, 2013.

47- Encyclopedia Britannica,London,1957,vol,3.

48- Frederick Johns Bliss, the developestineExploration ,C.Scribners Sons , New York , 1966.

49- F.O: 232/190.November.1861.20.

50- Hyamson Al berton , Palestine under mandate 1920-1948 , Greenwood Press, London , 1976.

51- Nmandel , Turk , Arab and Jewish Immigration in to Palestine 1881-1914 , Middle Eastern Affair , No , 4.